وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

القسم : علوم إنسانية .

الشعبة : تاريخ .

الحياة الإجتماعية في فلسطين أوآخر العهد العثماني

(1215ـ 1332 هـ/1800 ـ 1917م)

<<مدينة القدس نموذجا >>

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية 1453ـ1924م.

إعداد الطالبتين :

ـ مريم قودري .

ـ حليمة حاج اعمر .

إشراف الدكتورة :

نادية طرشون .

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بلخوص دراجي	استاذ محاضر (ب)	رئيسا
نادية طرشون	استاذة التعليم العالي	مشرفا ومقررا
لطيفة حمصي	استاذة مساعدة (ا)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1441ـ 1442 هـ /2020ـ2021 م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

القسم : علوم إنسانية .

الشعبة : تاريخ .

الحياة الإجتماعية في فلسطين أوآخر العهد العثماني

(1215ـ 1332 هـ/1800ـ1917م)

<<مدينة القدس نموذجا >>

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في تخصص تاريخ الدولة العثمانية 1453ـ1924م.

إعداد الطالبتين :

ـ مريم قودري .

ـ حليمة حاج اعمر .

إشراف الدكتورة :

نادية طرشون .

أعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
بلخوص دراجي	استاذ محاضر (ب)	رئيسا
نادية طرشون	استاذة التعليم العالي	مشرفا ومقررا
حمصي لطيفة	استاذة مساعدة (ا)	عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1441ـ 1442 هـ /2020ـ 2021م.


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الإهداء

إلى نور العينين ، إلى من كان دعائهما مصباح دربي أمي وأبي الكريمين ، أطال الله في عمرهما .

إلى نفسي التي تحدت وجدت ولاتزال تكد من أجل بلوغ درجات العلا .

إلى أقصانا وقدسنا وأمنا جميعا فلسطين الحبيبة .

ندعو الله أن يرجعك الحياة فحتما سيأتي يوم تنكسر فيه الحدود ويتحد الوجود

من أجلك يا أم العرب والمسلمين فكلنا فداكي يافلسطين .

إلى أبناء الرحم الواحد إخوتي ، وكل من يحملون في قلوبهم المحبة صديقاتي ، وزملائي .

إلى من شاركتني جهد هذا العمل .

أهدي لهم جميعا ثمرة هذا الجهد المتواضع.

مريم

الإهداء

إلى أبي الذي كان قدوة لي في كل خطوة .

إلى أمي التي كانت حافزا لي في كل الصعاب .

إلى إخوتي إلى من كانوا سندا ، قوة ، دافعا في هاته الحياة .

إلى كل صديقاتي وزميلاتي وزملائي .

إلى من تقاسمت معها العمل .

إلى كل من تعب معي لأصل إلى هذه المرحلة وكل من له قدر واحترام في قلبي .

أهدي لكم ثمرة هذا العمل .

حليمة

الشكر والتقدير

أولا وقبل كل شيئ نشكر الله عزوجل ، ونحمده على إعانتنا وتوفيقنا في إنجاز هذا العمل .

كما نتوجه بتحية شكر وتقدير إلى من أنارت طريق هذا البحث الأستاذة المشرفة الدكتورة

~ نادية طرشون ~ التي لم تبخل عن تقديم تعليماتها وتوجيهاتها القيمة وتشجيعنا المستمر منذ الوهلة الأولى .

ولايفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والإحترام إلى من كان يعطي بكل ضمير أستاذنا الفاضل الدكتور~ الغالي غربي~ ، الذي لطالما كان المعلم والمرشد والمكون .

دون أن ننسى شكر وإمتنان أستاذتنا الدكتورة ~ لطيفة حمصي ~ التي اعانتنا وساندتنا ولم تبخل عن تقديم ماجنته خلال مسيرتها العلمية .

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة ~ فاطمة الزهراء رحماني ~ التي ساهمت بكل مابوسعها بتقديم يد المساعدة لنا ، وإلى كل أساتذة قسم التاريخ وكل أستاذ ساهم في تقديم الأفضل طيلة مشوارنا العلمي .

فلكم منا جميعا خالص الشكر والتقدير والإحترام .

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

ج	الجزء
ط	الطبعة
ع	العدد
ق	القسم
تر	ترجمة
مج	المجلد
د.ط	دون طبعة
د.د.ن	دون دار النشر
د.م.ن	دون مكان النشر
د.ت.ن	دون تاريخ النشر
ح	الحلقة

المقدمة

مقدمة :

تحظى مدينة القدس بمكانة سامية لدى الديانات السماوية الثلاث لوجود أهم الأماكن الدينية المقدسة ، حيث عرفت منذ أقدم العصور بإستقطاب السكان من مختلف الأصول والأعراق والأجناس البشرية وبذلك شهدت فلسطين عامة والقدس خاصة تداخلا وتمازجا بين مختلف العناصر والأديان السماوية ، وقد ساهمت الدولة العثمانية في تحقيق التعايش والإدماج بين مختلف فئات المجتمع الفلسطيني ، حيث شكل المسلمون الغالبية العظمى من السكان ، إلا أنه مع حلول النصف الثاني من القرن 19م عرفت إزديادا واضحا في عدد السكان نتيجة الهجرات اليهودية ، ودخول التنظيمات العثمانية إذ أحدثت هذه الأخيرة تحسنا في الأوضاع التعليمية والصحية ولكن سرعان ما انقلبت الأوضاع الإجتماعية في القدس نحو الأسوء وذلك باندلاع الحرب العالمية الأولى .

وعليه شهدت المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني في فلسطين تحولات جذرية خلقت أحداث في غاية الأهمية تركت بصماتها الواضحة على الحياة الإجتماعية ، وكان من أهم المتغيرات التي طرأت على فلسطين خلال القرن 19م ، وقوع فلسطين تحت الحكم المصري قرابة عشر سنوات ، لتعود تحت مظلة الحكم العثماني مرة أخرى ، وفي ظل التراجع الذي أصاب الدولة العثمانية باتت الدول الأوروبية تستخدم التنظيمات والإمتيازات كأداة للتدخل وبسط نفوذها بفلسطين .

وبهذا دخلت فلسطين مرحلة جديدة اتسمت بظهور المشروع الصهيوني خلال ثمانينات القرن 19م وتشجيع الهجرة اليهودية وسعي دول الحلفاء بقيادة بريطانيا من أجل إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين ومن ثم صدور وعد بلفور 1917م ليؤدي هذا الأخير إلى إنهاء الحكم العثماني بفلسطين ووقوعها تحت الإنتداب البريطاني .

دواعي اختيار الموضوع :

يسبق اختيار كل بحث علمي دوافع موضوعية وأخرى ذاتية ، ومن الأسباب الموضوعية التي دفعت بنا إلى اختيار هذا الموضوع كثرت الدراسات والكتابات حول فلسطين خاصة مدينة القدس لكونها محل اهتمام الكثير من الباحثين ، لكن على الرغم من توفر الكثير من الدراسات عن هذه المدينة خاصة خلال العهد العثماني ، إلا أن معظم المؤرخين والباحثين كانت جل اهتماماتهم بالجانب السياسي والإقتصادي خاصة خلال الفترة العثمانية المتأخرة ، ولأن هذه الفترة بحاجة إلى المزيد من الدراسات التاريخية الجادة .

وبذلك لم تكن هناك دراسات عميقة على الجانب الإجتماعي خلال أواخر العهد العثماني حيث تعد هذه الفترة من اهم الفترات التاريخية للقدس لكونها تعد نقطة تحول جذري في شتى المجالات خاصة السياسية والإجتماعية نتيجة الظروف والتقلبات التي شهدتها الدولة العثمانية وفلسطين على حد سواء .

أما فيما يتعلق بالأسباب الذاتية فقد غلب عليها الدافع المعرفي والرغبة في الإطلاع على تاريخ هذه المدينة المقدسة لدعم القضية الفلسطينية قضية الأمة الإسلامية الأولى ، وإن عجزنا اليوم عن رفع السلاح في وجه أعدائها فإننا قادرين على إنارة تاريخها برفع راية العلم .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذا الموضوع في إطاره الزماني والمكاني الذي حدد من سنة 1800 أي مطلع القرن 19م وهي بداية المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني ، وانتهت إلى غاية 1917م بصدور وعد بلفور ، حيث تعد هذه الحقبة فترة حافلة بالأحداث التاريخية في شتى المجالات أهمها الجانب الإجتماعي .

كما تكمن أهمية هذا الموضوع في إطاره المكاني الذي خص فلسطين عامة والقدس خاصة هذه الأخيرة التي كانت ولاتزال ساحة للصراع الديني والعقائدي والسياسي .

الإشكالية :

تضمن موضوع الحياة الإجتماعية في فلسطين أوآخر العهد العثماني الإشكالية التالية :

كانت القدس ملتقى للأديان السماوية الثلاث وتجمعا لعناصر بشرية متنوعة ،تمكنت من العيش والتآلف فيما بينها لولا التدخلات الخارجية ، وعليه الى أي مدى ساهمت في توطيد العلاقات بين مختلف الفئات في إطار جغرافي واحد ؟ وتندرج تحتها عدة تساؤلات :

ـــ ماهي مكونات المجتمع الفلسطيني ؟

ـــ وماهي طبيعة العلاقة القائمة بين الفئات السكانية ؟

ـــ وما مصير الحياة الإجتماعية في القدس إثر التحولات الجذرية الطارئة خلال النصف الثاني من القرن19م ومطلع القرن20م ؟

ـــ وماهو مصير القدس في ظل التنافس و الصراع الأوروبي الديني ؟

الدراسات السابقة :

توجد الكثير من الدراسات السابقة عن الحياة الإجتماعية في فلسطين ، لكن خلال العهد العثماني الأول ، أما الدراسات الخاصة بالفترة العثمانية المتأخرة لم تتناول الحياة الإجتماعية بشكل خاص وواسع ، وإنما تمت الإشارة لها في شكل جزئيات صغيرة في طيات الدراسات السياسية والإقتصادية التي كانت محل إهتمام المؤرخين والباحثين خلال هذه المرحلة الضائعة ، ومن أهم تلك الدراسات نذكر :

عارف العارف تحت عنوان المفصل في تاريخ القدس ، وألكسندر شولش المعنون بتحولات جذرية في فلسطين 1856ــ1882م ، وكذلك دراسات عادل مناع كتاب (تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700ــ1918م)(لم يتوفر لدينا)، وكتاب (لواء القدس في أواسط العهد العثماني الإدارة والمجتمع منذ أواسط القرن 18م)(لم يتوفر لدينا) حتى حملة محمد علي باشا سنة 1831م ، وكتاب أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800ــ1917م، كما نذكر أطروحة ولاء حلمي شيوخي بعنوان القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914ــ 1918م ، وأطروحة صابرين صلاح الدين القدس بين ثورتين : دراسة في الأوضاع الأمنية 1825ــ1835م ، وكتاب محمد عيسى ، صالحية مدينة القدس السكان والأرض (العرب واليهود) 1275ــ1368هـ/1858ــ1948م .

المنهج المتبع :

خلال دراستنا لهذا الموضوع ولتحقيق أهداف الدراسة اعتمدنا على أكثر من منهج واحد ، منهم المنهج الوصفي والتحليلي والإحصائي ، فبالنسبة للمنهج الوصفي اعتمد لسرد ووصف الأحداث والوقائع من أجل التعرف على طبيعة الحياة الفلسطينية ، أما عن المنهج التحليلي استخدم لتحليل الأوضاع التي مرت بها فلسطين في ظل التحولات التي شهدتها فلسطين خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م ، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي الذي كان لابد منه خلال هذه الدراسة من أجل إحصاء سكان القدس .

الخطة المعتمدة :

تطرقنا في هذه الدراسة إلى بناء خطة من مدخل تمهيدي وثلاثة مباحث إذ احتوى المبحث الأول والثاني على أربع مطالب ، بينما تضمن المبحث الثالث ثلاثة مطالب .

وعليه تناول المدخل التمهيدي مكانة القدس عند المسلمين وأهل الذمة حيث وضح الأهمية التاريخية والدينية للقدس باعتبارها ملتقى الأديان السماوية الثلاث وحرص الدولة العثمانية على حماية هذه الأرض

المقدسة ، أما بالنسبة للمبحث الأول فقد تناول التركيبة الإجتماعية في فلسطين حسب الديانات السماوية الثلاث ، فكان المطلب الأول بعنوان الفئات السكانية وتم التطرق فيه إلى إبراز التنوع البشري من حيث الأعراق والأديان في القدس ، أما المطلب الثاني وضح العلاقات السكانية بين الطوائف الدينية المسلمين واليهود والنصارى ، ثم تلاه المطلب الثالث حيث تطرقنا فيه إلى إحصاء سكان القدس في الفترة العثمانية المتأخرة ، إضافة إلى المطلب الرابع المعنون بالزعامات والقوى المحلية وتم من خلال هذا المطلب تطرقنا إلى أهم العائلات المقدسية ودورها ومكانتها داخل المجتمع المحلي .

أما فيما يخص المبحث الثاني المعنون بالأوضاع الإجتماعية في القدس ، تضمن أربعة مطالب ، المطلب الأول تضمن الأوضاع التعليمية في القدس ، أما المطلب الثاني وضح الأوضاع الأمنية في القدس ، خلال فترة الدراسة ، بعد ذلك جاء المطلب الثالث تحت عنوان الأوضاع الصحية ، في حين أن المطلب الرابع خصصناه للحديث عن المجتمع الفلسطيني خلال الحرب العالمية الأولى .

أما عن المبحث الثالث المعنون بالصراع الدولي في القدس ، اندرج تحته ثلاثة مطالب ، الأول تحدثنا فيه عن الصراع العثماني المصري على فلسطين ، والمطلب الثاني ذكرنا فيه النفوذ الأجنبي في القدس ، لنختم موضوعنا بالمطلب الثالث حول النشاط الصهيوني والإستيطان في القدس ، وخاتمة تضمنت مجموعة من الإستنتاجات تم التوصل إليها خلال دراسة الموضوع .

أهم المصادر :

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر أبرزها : مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ترجمة محمد حرب ، و مذكرات جندي مقدسي في الحرب العظمى من تحقيق سليم تيماري ، وكتاب الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر لأنيس الأبيض ، وكذلك نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي الغزي صاحب كتاب لطف السمر وقطف الثمر ، بالإضافة إلى كتاب الحاوي في الطب لمؤلفه أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي .

صعوبات الدراسة :

تعد هذه الدراسة مثل الدراسات السابقة التي لا تخلو من الصعوبات ، وبالتالي شكلت لنا هذه الدراسة مجموعة من العراقيل منها عدم التمكن من الوصول إلى المصادر المهمة كوثائق المحاكم الشرعية والمصادر الورقية الموجودة بفلسطين والغير المتوفرة إلكترونيا ، بالإضافة إلى عدم استخدام المراجع الأجنبية

المتوفرة وغير المتوفرة وذلك لعدم تمكننا من ترجمتها ليس تقصيرا منا ، وإنما لضعف وصعوبة فهم واستخدام اللغات الأجنبية .

المدخل التمهيدي :مكانة فلسطين التاريخية والدينية.

المدخل التمهيدي :مكانة القدس عند المسلمين وأهل الذمة .

تحظى مدينة القدس بمكانة سامية ومرموقة في التاريخ البشري ولدى جميع الشعوب ، فهي زهرة المدائن ومهد الرسالات السماوية وموطن أبينا ابراهيم ومتعبد الأنبياء السابقين ومسرى خاتم النبيين سيدنا محمد عليه افضل الصلاة والسلام ، قال الله تعالى :<< سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير >>سورة الاسراء/الآية 1 .

و في هذه الأية تتجلى مكانة بيت المقدس أولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين الشريفين عند المسلمين ومهبط الوحي ، للعروج برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى ليرى هنالك من آيات الله الكبرى[1] .

1ـالتعريف بأهميةالقدس التاريخية والدينية:

من الأمور الهامة التي جعلت أرض فلسطين تتمتع بمكانة خاصة في التصور الإسلامي ، وجعلتعها محط أنظار ومهوى أفئدة المسلمين ، هو تأكيد صاحب القبة الخضراء ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ على أهمية القدس وماحولها في الكثير من أحاديثه الشريفة عن فضائلهاالتي تتمثل في :

ـــ تميزت فلسطين بالمسجد الأقصى الذي يعتبر أولى القبلتين ، فإليه توجه المسلمون بصلاتهم قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة ، وهذا باتفاق العلماء وفيه دلالة على أن هذا البيت شرفه الله وكرمه فوجه أنظار المسلمين إليه فترة من الزمن ابتداء من فرض الصلاة في أول الإسلام إلى مابعد الهجرة النبوية بستة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا [2]

ـــ الصلاة في المسجد الأقصى مضاعفة الأجر ، حيث نوه الله به في الآيات المفصلة وتليت فيه الكتب المنزلة والصلاة فيه بخمسمائة صلاة عما سواه من المساجد إذ قال صلى الله عليه وسلم:<< الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ،والصلاة في مسجدي بألف صلاة ،والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة >>[3] .

---

[1] ـــ محمد عبد الله محمد علي عبدالله ، <<بيت المقدس في الكتاب والسنة >> ، مذكرة لنيل شهادة شهادة الماجستير في أصول الدين ،كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية ، نابلس فلسطين ، 2007م ، ص 28.

[2] ـــ عبد الله نجيب سالم ، المجد المنيف للقدس الشريف ، مادة من منبر التوحيد والجهاد ، ص 8.

[3] ـــ محمد عبد الله محمد علي عبد الله ، المرجع نفسه ، ص 63.

ـــ شد الرحال إليها حيث حث الرسول صلى الله عليه وسلم على شد الرحال إليها ، وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :<< لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:مسجدي هذا و المسجد الحرام و المسجد الأقصى[1].

ـــ أرض فلسطين أرض مباركة ومقدسة بنص القرآن الكريم قال الله تعالى :<<وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة >>.سورة سبأ/الآية 18.وقال تعالى على لسان موسى <<ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم >>.سورة المائدة /الآية 21.[2]

ـــ انفردت فلسطين بمكانتها الخاصة لكونها مقر الأنبياء و مبعثهم عليهم السلام و مهبط الملائكة الأطهار حيث عاش على أرضها الكثير من أنبياء بني إسرائيل[3] .

ـــ هي أرض المحشر والمنشر والله سبحانه وتعالى حين اختار بيت المقدس لتكون الأرض التي يحشر إليها العباد يعلم أنهامن خيرة الأرض عنده، وأنها تتمتع بمنزلة عالية من التكريم والأفضلية ، ففلسطين هي الأرض التي يأمن بها الناس من الفتن إذا نزلت [4] .

ليس هذا فحسب بل أن فلسطين لها الكثير من الفضائل الأخرى التي جعلتها تتمتع بمكانة دينية لدى المسلمين وجزءا من عقيدتهم ومازاد تعمق مكانتها في قلوب المسلمين هي إعتبارها أرض إسلامية مقدسة ، وأما عن علاقة المسلمين بفلسطين فهي علاقة دينية عقائدية حضارية عميقة ، وفضائل بيت المقدس لها دلالة واضحة على إسلامية القدس ، والإدعاءات الصهيونية بملكية فلسطين محض افتراءات لا أصل لها.

حيث يزعم اليهود أن لهم حقا دينيا في فلسطين ، وأنه ثمة ميثاقا إلاهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة [5]، ولأن فلسطين تحتوي الكثير من الأماكن المقدسة الخاصة باليهود والنصارى التي تتمثل في:

ـــ معبد سليمان في الأقصى الذي كان أول معبد لليهود بالقدس [1].

---

[1] ـــ محسن محمد صالح ، الطريق إلى القدس دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض فلسطين منذ عصور الأنبياء وحتى أواخرا لقرن العشرين ، ط 5، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات ، بيروت ـــ لبنان ، 1433هـ/2012م ، ص 49.

[2] ـــ نفسه ، ص 49.

[3] ـــ عبد الله نجيب سالم ، المرجع السابق ، ص 9.

[4] ـــ نفسه ، ص 50.

[5] ـــ محسن محمد صالح ، المرجع نفسه ، ص ص 15ـــ 17.

ـــ حائط المبكى الذي يقصده اليهود للعبادة ظنا منهم أنه جزء من معبد سليمان في وقتنا الحاضر، ويحتوي هذا البناء على الحجرات التي كان سيدنا زكرياء والسيدة مريم عليهما السلام يتعبدان فيها كما ورد في القرآن الكريم[2] .

كم أمر السلطان العثماني بتحديدالأماكن المقدسة عند النصارى أهمها :

ـــ كنيسة القيامة و التي شيدت في مكان يدّعى أنه قبر سيدنا عيسى عليه السلام ، وهي عبارة عن معبد أجمعت الطوائف المسيحية كلها على قدسيته[3].

ـــ الكنيسة الكبيرة الموجودة في بيت لحم ، ويطلق عليها مغارة المهد التي ولد فيها عيسى عليه السلام وقد كانت سببا في نشوب العديد من الخلافات بين الطوائف النصرانية لاشتراكهم فيها[4].

ـــ الحرم الإبراهيمي الشريف المقدس من طرف كل الأديان السماوية[5].

ضف إلى ذالك الجوامع والمساجد والمدارس الدينية والزوايا ومقابر الأنبياء ،وهذا دليل على قدسية فلسطين وخاصة القدس عالية الشأن وهو الأمر الذي جعلها الأكثراستقطابا للسكان على اختلاف أديانهم[6] .

وخلال القرن السادس عشر ميلادي انضوت فلسطين تحت لواء الحكم العثماني وذلك منذ عام 1516ـــ1517 م ،حيث كان للدولة العثمانية آنذاك القوة التي مكنتها من ضم العديد من الدول العربية تحت حمايتها خاصة فلسطين التي تعد من أعرق المناطق التاريخية الإسلامية في العالم ، والتي تحتل مكانة متميزة وعظيمة في قلوب المسلمين نظرا لفضائلها التي سبق ذكرها [7] .

لذلك نجد أن الدولة العثمانية قد اعتنت بفلسطين عامة والقدس خاصة عناية خاصة ، وسعت الدولة العثمانية للحفاظ على الهوية الإسلامية لأرض فلسطين أربعة قرون متواصلة من الزمن ، ومع مرور الزمن خاصة خلال القرنين السابع والثامن عشر للميلادي ، تحولت أقوى دول العالم في العصر الحديث الدولة

---

[1] ـــ حسين أوزدمير ، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني ، ط 1، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرة ـــ مصر ، 1434هـ/ 2013م ، ص 64 .

[2] ـــ نفسه ، ص 70.

[3] ـــ نفسه ، ص 70.

[4] ـــ نفسه ، ص 70.

[5] ـــ نفسه ، ص 75.

[6] ـــ نفسه ، ص 76.

[7] ـــ محسن محمد صالح ، المرجع السابق ، ص 137.

العثمانية إلى دولة تسعى للحفاظ على كيانها وذلك من خلال عوامل الضعف التي تدب في أوصالها ، والتي أدت بها إلى طبيعة الحال إلى الفقدان التدريجي لمساحات كبيرة من أراضيها ، إضافة إلى عدم تمكنها من مواكبة التطورات العلمية و الحضارية الحاصلة في الغرب وتعثراتها الإقتصادية التي أدت إلى تغلغل النفوذ الأوروبي فيها فضلا عن حالة الجمود الثقافي والفكري التي شهدتها وهو الأمر الذي لم يمكنها من متابعة قضايا العصر وتقديم الحلول المناسبة وفق رؤى واعية مستمدة من الإسلام وتراثه العظيم[1].

وعلى إثر هذا الضعف الذي أصاب جسم رجل أوروبا المريض [2] تم بروز وطرح المسألة الشرقية [3] سنة 1815م والتي أظهرت النوايا الأوروبية ، ومن هنا أدركت الدولة العثمانية المخاطر المحدقة بفلسطين ، إذ تجلت تلك الأخطار بصورة واضحة بعد عقد المؤتمر الصهيوني [4] الأول سنة 1897م ، فأولت الدولة العثمانية العثمانية بفلسطين عناية خاصة على غرار أيالاتها الأخرى من خلال اتخاذها للعديد من التدابير والإجراءات قبل عقد المؤتمر الصهيوني وبعده [5].

إن أول ماقامت به الدولة العثمانية بعد إكتشافها لمخاطر المشروع الصهيوني خاصة خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني[6] 1876ــ1908م اتخاذ بعض الإجراءات والتدابير لمنع توطين اليهود في فلسطين حيث نهج السلطان سياسة متشددة تجاه الحركة الصهيونية منذ عام 1882م ، تمثلت فيما يلي :

---

[1] ــ محسن محمد صالح ، المرجع السابق ، ص173.

[2] ــ رجل أوروبا المريض : هو لقب أطلقه القيصر الروسي نيقولا الأول على الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن 19م ، أثناء محاولته بالإتفاق مع بريطانيا من أجل تقسيم أملاك الدولة العثمانية بسبب ضعفها . للمزيد أنظر : أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ط2 ، دار الشروق ، بيروت ، 1406هـ/ 1986م .ص 208.

[3] ــ المسألة الشرقية : تنافس الدول العظمى على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية خلال القرن 19م . للمزيد أنظر : روبير مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، تر : بشير السباعي ، ج 2 ، ط1 ، دار الفكر ، القاهرة ، 1993م ، ص 7.

[4] ــ المؤتمر الصهيوني : عقد برئاسة ثيودور هرتزل في مدينة بال بسويسرا ، ضم هذا المؤتمر كل الجاليات اليهودية ومن خلاله نجح هرتزل في الترويج لفكرة إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين . للمزيد أنظر : نبيل محمود السهلي ، فلسطين أرض وشعب من مؤتمر بال وحتى 2002 . د.ط ، د .د.ن ، د.م.ن ، د .ت.ن ، ص 6.

[5] ــ محمد عيسى صالحية ، مدينة القدس السكان والأرض (العرب واليهود) 1275ــ 1368هـ / 1858ــ 1948م ، ط1 ، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات ، بيروت ــ لبنان ، 1430هـ / 2009م ، ص 16.

[6] ــ عبد الحميد الثاني : هو خليفة المسلمين الثاني ، والسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية وصل إلى الحكم عام 1876م حيث كانت الدولة العثمانية على حافة الإنهيار ،وقد أقدم هذا السلطان على عدة محاولات لبعث الحياة لجسم الرجل المريض ، فهو لم ينحني لإغراءات اليهود وضغوط الدول الإستعمارية بمنحهم أي شبر من أرض فلسطين والتي كانت سببا في إطاحته بعدأن خلع بانقلاب سنة 1909م ووضع تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته . للمزيد أنظر : السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، تر : محمد حرب ، ط3 ، دار القلم ، دمشق ، 1412هـ/1991م ، ص ص 45ــ 58.

ـــ محاربة الهجرة اليهودية إلى فلسطين نتيجة التزايد التدريجي في أعداد اليهود الراغبين في الاستيطان[1]، وظهور النية لإقامة دولة يهودية وذالك عن طريق تحديد الهجرة وإقتصارها على الحجاج ورجال الأعمال اليهود فقط ، وحضر دخول المهاجرين اليهود من روسيا وصربيا وبلغاريا ورومانيا . ولكن اليهود تمكنوا من خرق هذا الحضر عن طريق إرتداء لباس وزي الحجاج ورجال الأعمال ومن ثم طالب حاكم القدس رؤوف باشا من الباب العالي بزيادة التدابير اللازمة ، وهكذا تم حضر دخول رجال الأعمال اليهود إلى فلسطين وفقا لقانون صدر عام 1884م اشترط على الحجاج اليهود بضرورة حصولهم على تأشيرات وجوازات سفر من القناصل العثمانية في بلادهم . حيث حددت لهم فترة زيارتهم بمدة لا تتجاوز شهر مع دفع تأمين مالي يجبرهم على مغادرة فلسطين ، غير أن الدول الأوروبية مارست الضغوط استنادا على الإمتيازات [2]الممنوحة لهم ونتيجة لذلك سمح لليهود بدخول فلسطين مجددا عام 1888م بإلزامهم عدم الدخول في مجموعات كبيرة العدد ، وهنا عادت الهجرة من جديد في شكل ثلاث او أربعة عائلات في كل مرة[3].

نجد هنا أن هذا الإجراء الذي نص على محاربة الهجرة اليهودية لم يجدي نفعا على الرغم من أن السلطان عبد الحميد الثاني حرص على حضرها ، وبرهان ذلك القانون الذي صدر في أواخر 1881م والذي نص على السماح بهجرة اليهود إلى أي أرض من الأراضي العثمانية باستثناء فلسطين واستبدال جنسياتهم بالجنسية العثمانية[4].

كما تذكر بعض الكتب أن اليهود استطاعوا إختراق قانون 1882م عن طريق البخشيش وأن المدة التي حددت لهم للزيارة المقدسة والمكوث في فلسطين مدتها ثلاثة أشهر[5] .

ـــ قام السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1887م بتحويل القدس إلى سنجق مستقل وإلحاقها مباشرة بالباب العالي في اسطنبول بعد أن كانت تابعة لولاية دمشق ، وتعيين والي مستأمن عليها من أجل الحد من

---

[1] ـــ الاستيطان : هو مصطلح يشير إلى حركة الاستيطان اليهودي في فلسطين ويشير إلى النشاط العمراني ، وإنشاء تجمعات سكانية يهودية حديثة على الأراضي الفلسطينية . للمزيد أنظر : نائلة الوعري ، دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي، في فلسطين 1840 ـــ 1914م ،ط1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ـــ الأردن ،2007 م ، ص 67.

[2] ـــ لإمتيازات : هي تلك التسهيلات التي منحتها الدولة العثمانية لرعايا الدول الأجنبية والأقليات الدينية المتواجدة على أراضيها بهدف تنشيط الأوضاع في مختلف المجالات في الدولة العثمانية . للمزيد أنظر : محمد سهيل طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، ط3 ، دار النفائس للطباعة والنشروالتوزيع ، بيروت ، 2013م ، ص ص 579 ـــ 582.

[3] ـــ حسين أوزدمير ، المرجع السابق ، ص181.

[4] ـــ إسلام شحدة العالول ، محطات فاصلة في تاريخ فلسطين القديم والحديث ،.د.ط ، أكاديمية دراسات اللاجئين ،د.م.ن ، د.ت. ن ، ص 57.

[5] ـــ نفسه ، ص 57.

الإستيطان والأطماع اليهودية في فلسطين[1].

ـــ إضافة لذلك فقد أصدرت الحكومة العثمانية قرارا في سنة 1897و1898م حيث نص القرار الأول على حظر مجاورة اليهود المهاجرين من الدول الأوروبية إلى فلسطين وولايتي سوريا وبيروت ، أما القرار الثاني نص على منع اليهود من الدخول إلى القدس ولكن للأسف لقي هذا القانون معارضة شديدة من طرف القنصليات الأجنبية [2]الموجودة في فلسطين إلا أننا نجد أن الحكومة العثمانية قد أصرت على تنفيذ هذه القوانين [3].

ـــ عملت الحكومة العثمانية على تحديد انتقال ملكية الأراضي الفلسطينية إلى الملكية اليهودية ولكن تمكن اليهود من شراء العديد من الأراضي وذلك عن طريق سياسة الإغواء من خلال دفع أسعار مضاعفة مقابل تلك الأراضي[4].

ليس هذا فحسب بل صار المزارعون البسطاء عاجزين عن تحمل مكائد اليهود ، وهو مأرغمهم على تسليم أراضيهم والتخلي عنها . وبذلك تمكن اليهود من السيطرة على السواحل الممتدة من حيفا إلى غزة وقسم منهم سيطر على مناطق مهمة من فلسطين مثل القرى وغيرها .

وانطلاقا من المكائد التي قام بها اليهود من أجل الحصول على ملكية الأراضي داخل فلسطين قامت الدولة العثمانية باتخاذ تدابير أخرى أهمها :

ـــ منع بيع الأراضي لليهود وإلحاق أقصى العقوبات بمن يأتون إلى فلسطين بحجة الزيارة ثم يختبؤون فيها ولايعودون إلى بلادهم ، إذ بعد ذلك أصبحت ترفض قبول أي يهودي على الموانئ البحرية حتى لو قدم بهدف الزيارة ،كما عملت على ترحيل كل اليهود الذين يعلنون تبعيتهم للدول الأخرى والسماح لهم بالبقاء في حالة قبول شرط إعلان تبعيتهم للدولة العثمانية كأهل الذمة وفي المقابل تقوم الدولة بتوطينهم في أماكن مناسبة[5].

---

[1] ـــ إسلام شحدة العالول ، المرجع السابق ، ص 57.

[2] ـــ القنصليات : هي بعثة ديبلوماسية تبعث بها دولة ما إلى دولة إخرى لتمثيلها والدفاع عن مصالحها ، ولتسهيل شؤون مواطنيها المقيمين في الدولة المضيفة . للمزيد أنظر: نائلة الوعري ، المرجع السابق ، ص 47.

[3] ـــ رافق شاكر النتشة ، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، ط3 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، 1991م ، ص 164.

[4] ـــ زهير عبد المجيد الفاهوم ، فلسطين ضحية وجلادون ـــ فلسطين في أواخر العهد العثماني ، ط2 ، شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ، 2012م ص 363

[5] ـــ حسين أوزدمير ، المرجع السابق ، ص ص 183ـــ 184.

على الرغم من كل تلك الإجراءات الصارمة والمتشددة التي اتخذها الحكومة العثمانية من أجل الحفاظ ورعاية فلسطين من الطائفة اليهودية تمكن هؤلاء اليهود من التسلل إلى فلسطين بفضل تقديم القنصليات الأجنبية يد العون للهجرة والإستيطان اليهودي في فلسطين بالإضافة إلى إغواء اليهود للكثير من الموظفين العثمانيين بالرشاوي [1].

وبالتالي نقول أن موقف الحكومة العثمانية خاصة السلطان عبد الحميد الثاني اتجاه الاستيطان اليهودي كان موقف رافض وبقوة وظهر ذلك في الفرامانات [2]الصادرة عن الباب العالي .[3].[4]

لكن من جهة أخرى نجد موقف القبول اتجاه الاستيطان اليهودي من قبل الإدارات الضعيفة والمرتشية والقنصليات الاجنبية الموجودة داخل فلسطين[5] .

---

[1]ـــ رفيق شاكر النتشة ،السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين ، المرجع السابق ، ص170.

[2]ـــ الفرمانات : جمع فرمان وهو الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في قضية من القضايا ، ويسجل ملخصه في الديوان ويشتمل على طغراء السلطان ، ونوع الفرمان والغرض من إصداره . للمزيد انظر سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، د.ط ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 2000م ، ص 164.

[3]ـــ الباب العالي : وهو مقر رئيس الوزراء أو مقر الحكم في الدولة العثمانية . للمزيد أنظر : سهيل صابان ، نفسه ، ص 49.

[4]ـــ أنظر: الملحق رقم 01 ، ص89.

[5]ـــ بيان نويهض الحوت ، فلسطين ـــ القضية ـــ الشعب ـــ الحضارة ، ط1 ، دار الإستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، 1991م ، ص 393.

المبحث الأول : التركيبة الإجتماعية في فلسطين

المطلب الأول: الفئات السكانية .

المطلب الثاني: العلاقة بين السكان.

المطلب الثالث: إحصاءات سكان القدس في الفترة العثمانية المتأخرة .

المطلب الرابع: الزعامات والقوى المحلية .

المبحث الأول : التركيبة الإجتماعية في فلسطين .

إن مكانة القدس الدينية وموقعها الإستراتيجي ساهم في زيادة التوافد والتنوع البشري إليها ، وهوما جعلها مدينة إستقطاب للسكان ، حيث سكنها أقوام من مختلف الأمم والأديان ، ربطتهم علاقات إجتماعية وتولت زعامتهم عائلات محلية ، وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم سكان القدس من حيث ديانتهم إلى مسلمين ويهود ونصارى ، إذ شكل المسلمون الغالبية العظمى من السكان بينما شكل اليهود أقلهم .

المطلب الأول : الفئات السكانية .

أولا ـ المسلمون :

أورد الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة في النصف الأول من القرن 19م بيانات تدل على عددالسكان المسلمين،حيث ذكر الرحالة الألماني ستيزن ـــSeetzenـــ الذي زار القدس عام 1221ه/1806م أن عدد السكان المسلمين بلغ 4000 وقد حصل على هذا الرقم من متسلم [1]القدس[2] .

أما الرحالة روبنسون ـــRobinsonـــفقد ذكرأن عدد السكان المسلمين 4500 شخص ويتكون المسلمون إضافة إلى العرب سكان المدينة الأصليين من الفئات التالية :

1 ـ المغاربة :

وفد المغاربة إلى مدينة القدس منذ مئات السنين كما قدم إليها آخرون منهم بعد سقوط الأندلس 898ه /1492م ، ويتكون المغاربة في القدس من المراكشيين والتونوسيين والجزائريين ، وقد أقام هؤلاء في جبل الطور في حي خاص بهم سمي بحي المغاربة ،كان يتولى زعامة هؤلاء شيخ يعينه الوالي وكان الشيخ يمثل المغاربة في المحكمة الشرعية بشأن القضايا التي تتعلق بمصالحهم كالأوقاف وتوزيع التركات ، وكان للمغاربة زاوية تعرف بزاوية ـــ أبي مدين الغوث ـــولها أوقاف في مدينة القدس والقرى المجاورة مخصصة للإنفاق على المغاربة ، وقد شغل بعض المغاربة مناصب رفيعة منهم إسماعيل المغربي الذي تولى قيادة قلعة القدس[3].

2 ـ الهنود :

---

[1] ـــ المتسلم : يطلق على الأشخاص الذين وجهت إليهم إدارة السناجق والأقضية ، التابعة للولاة والمتصرفين قبل عهد التنظيمات . للمزيد أنظر: سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص ص 199 ـــ 200 .

[2] ـــ زياد عبد العزيز المدني ، مدينة القدس وحوارها خلال الفترة 1215ـــ 1245هـــ / 1800ـــ 1830م ، ط1 ، منشورات بنك الأعمال ، عمان ، 1417هـــ / 1996م ، ص 215 .

[3] ـــ نفسه ، ص 216.

هم حجاج مسلمون قدموا إلى المدينة بعد أداء فريضة الحج وسكنوا فيها واختلطوا بمرور الزمن مع السكان المحليين عن طريق الزواج[1] ، تولى زعامة هؤلاء شيخ كان يعينه الوالي ،كما اعتمد الهنود في معاشهم على التبرعات التي ترد إلى زاويتهم من العمارة العامرة [2]ومن خزينة القدس[3] .

3 ـ التكارنة :

قدم هؤلاء إلى مدينة القدس بعد أداء فريضة الحج ويعود أصل هؤلاء إلى بلاد تكرور ، وكان يتولى زعامتهم كذلك شيخ يعين من طرف الوالي ، حيث نجد أن هؤلاء التكارنة من الطبقات الفقيرة في المجتمع واعتمدوا في معاشهم على الهبات السنوية التي كانت ترد بالعادة إلى المجاورين من مصر والأستانة ، أما البعض فقد كان يحصل على معاشه من العمل في حراسة الأسواق [4].

4 ـ الأكراد :

يعود أصل هؤلاء إلى منطقة كردستان إذ قدموا إلى القدس بعد فريضة الحج وجاء البعض منهم إلى المدينة بصحبة الشيوخ الصوفية وأقاموا بزاوية خاصة بهم ، شكل الأكراد طبقة فقيرة في المجتمع اعتمدت في معاشها على الهبات السنوية وخاصة الصرة الرومية[5] والصرة المصرية [6] كما اعتمدوا على عائدات الوقف التابعة لهم .

حيث كانت في القدس دار من وقف الأكراد يوزع ريعها على فقرائها[1] .

---

[1]ـــ أحمد حسين عبد الجبوري ، القدس في العهد العثماني 1640ـــ 1799م دراسة سياسية عسكرية إدارية إقتصادية إجتماعية ثقافية ، ج 2 ، ط1 ، دار الحامد ، عمان ـــ الأردن ، 2011م ، ص 229.

[2]ـــ العمارة العامرة : يقصد بها تكية خاصيكي سلطان ، أنشأتها روكسلانة زوجة السلطان سليمان القانوني سنة 959هـــ / 1552م ، لمساعدة الفقراء حيث تقع بجانب المسجد الأقصى المبارك ، وظلت مستمرة في تقديمها الخدمات للفقراء والدراويش والمسافرين لمئات السنين . للمزيد أنظر : ولاء حلمي حسن شيوخي ، <<القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914ـــ1918م >> ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل ، فلسطين ، 1437هـــ / 2016م ، ص 86.

[3]ـــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 217.

[4]ـــ نفسه ، ص ص 217 ـــ 218.

[5]ـــ الصرة الرومية : ويقصد بها الصرة السلطانية وتعني كيس النقود أو المساعدات المالية التي اعتادت الدولة العثمانية إرسالها إلى الحرمين الشريفين بحيث أطلقوا عليها الصدقات الرومية ، للمزيد أنظر : محمد ماجد صلاح الدين الحزماوي ، <<الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني (1111ـــ 1317هـــ/1700ـــ1900م)>>، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ' مج 4 ، ع 4 ، 2010م ، ص ص 71ـــ73.

[6]ـــ الصرة المصرية : هي صرة كانت ترد سنويا من قبل حكام مصر إلى مدينة القدس قي العهد العثماني ، وقيمتها خمسة وثلاثين ألف بارة أي أقل من قيمة الصرة السلطانية ، خصصت لفئة العلماء والمدرسين والأئمة خاصة العاملين بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة. للمزيد أنظر : نفسه ، ص 74.

5 ـ الشركس :

وفدوا إلى المدينة للمجاورة فيها بعد أداء فريضة الحج بحجة الأوقاف التي وجدت بأسمائهم ، وسكنوا بمحلة التبانة من خلال الإشارة إلى وجود دار موقوفة عليهم وقفتها السيدة حسنة بنت عبد الله الشركسية كما كان للشراكسة زاوية خاصة بهم سميت بالزاوية الشركسية بالقدس بوادي الطواحين ، بالإضافة إلى المدرسة المدرسة الشركسية المنسوبة إليهم[2] .

6 ـ التركمان :

هم أتراك كانوا يقطنون بآسيا الصغرى قدموا إلى مدينة القدس بعد أداء فريضة الحج ، وكذلك ضمن القوات العثمانية المرابطة فيها واستقروا في القدس بمحلة باب حطة ومنهم من استقر بمحلة باب العمود ، وقد كان يتولى زعامتهم شيخ يعين من قبل الوالي كما نجد أن هؤلاء التركمان قد تقلدوا وظائف عديدة كالوظائف العسكرية ومنهم من عمل في الطوائف الحرفية[3] .

7 ـ السمرقندية والبلخية والبخارية :

جاء هؤلاء إلى القدس من سمرقند وبلخ وبخارى في تركستان للزيارة والمجاورة وسبقهم البخارية في الزاوية النقشبندية ثم الأفغان في الزاوية القادرية والتي كانت مقر استقرارهم ، ويبدو أن أعدادهم كانت قليلة جدا مما جعل من الزوايا وأبواب الحرم القدسي بمسجديه الأقصى وقبة الصخرة المشرفة مسكنا لهم ، وكانوا يعتمدون في معاشهم على الهبات السنوية مثل الصرة الرومية والصرة المصرية فضلا عن قيامهم ببعض الأعمال الحرفية لسد إحتياجاتهم[4] .

*** سكان القرى المجاورة :**

نجد أن سكان القرى المجاورة للقدس خلال القرن 19م هم فلاحون عرب ينتمون إلى قبائل وعشائر مختلفة فقد كانت عائلة البرايسي في بيت أمر والتعامرة في بيت لحم والعبيدية ومنهم الحساسنة في قرية العبيدية

---

[1] ــ أحمد حسين عبد الجبوري ، المرجع السابق، ص 232 .

[2] ــ نفسه ، ص 234 .

[3] ــ ميرفت عوض عبد الله أبو عواد ، << الحياة الإدارية والثقافية والإجتماعية والإقتصادية في فلسطين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الهجري / السابع والثامن عشر الميلادي من خلال كتب التراجم >> ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ــ فلسطين ، 2016م ، ص 99.

[4] ــ أحمد حسين عبد الجبوري ، المرجع نفسه ، ص 234.

وأبو سرحان والمراعشة في بيت لحم وأبو سمور في عين كارم وأبو رمان في العيزرية وأبو غوش في قرية العنب والعرقات في أبو ديس[1] .

ـ البدو :

عرفوا باسم عرب أو عربان وقد سكن هؤلاء غور أريحا والفارعة ، وقد عمل هؤلاء بالتجارة خاصة تجارة المواشي إذ كانوا يصدرونها إلى مدينة القدس ،كما كانوا يقدمون بعض الخدمات لحجاج المدينة القدس كالنقل والحراسة وتقديم المياه ، كما توزع العربان في مدينة القدس وقراها ، فهناك من استقر داخل المدينة وتشهد السجلات الشرعية أنه لم يتم وقوع أي تعديات من قبلهم ضد السكان والسلطة المحلية ، وعرفوا بالبدو المستقرين أما العربان الغير مستقرين كانوا قاطنين في ظاهر المدينة وأطرافها بالإضافة إلى العربان العصاة[2]

وبذلك فإن هؤلاء العربان انقسموا إلى ثلاثة أقسام :

_ العربان المستقرون (سكان الريف):

سبق الإشارة إلى أن هؤلاء كانوا داخل المدينة ومنهم من سكن ظاهر المدينة في القرى وعلى أطرافها وحول خط جريان المياه باتجاه السهول الساحلية ، وغالبا ماتضم العرب الموالين للسلطة نذكر منهم عرب جرم المزاريق ،عرب هتيم ،البراغشة ،العوازمة ،حميدة والسوالمة والوحيدات وجميعم بظاهر القدس ونرجح سكنهم جميعا في منطقة أريحا الغور شرق المدينة المقدسة وغربها[3] .

_ العربان غير المستقرين(البدو) :

منهم من هو موالي للسطة ومنهم من هو غير موال للسلطة ضمن الإطار الجغرافي المنصب على مدينة القدس ، وأحيانا يتعدى الولاء إلى المناطق المجاورة للسلطة وتؤكد السجلات أن عددا من العربان المستقرين وغير المستقرين ، قاموا بعدة مشاجرات وسرقات بين الأراضي الرعوية والزراعية مثل عرب الجرامنة والمشاريق وقبيلة مخلد البدوية التي قامت بنهب بقر أهاليي بيت تعمر [4].

_ العربان العصاة (الأشقياء):

---

[1] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 220.

[2] ــ نفسه ، ص 220.

[3] ــ أحمد حسين عبد الجبوري ، المرجع السابق ، ص 238.

[4] ــ نفسه، ص 239.

مارست هذه الفئة أعمال النهب والسلب وقطع الطرق واتصفت بالتمرد على السلطة المركزية والسكان وأطلقت عليهم السلطات العثمانية المحلية صفة العرب العصاة ومنهم عرب بني عطا وبني عطية [1]والذين سكنوا في الأراضي الواقعة بين لواء غزة ولواء القدس [2].

ثانيا ـ أهل الذمة :

1 ـ اليهود :

لجأ بعض اليهود إلى ولايات الدولة العثمانية أهمها مدينة القدس هربا من الإضطهاد الذي مارسته ضدهم الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا ، حيث أقام اليهود في منطقة جبل صهيون في حارة عرفت باسمهم حارة اليهود[3] ،[4]، وينقسم اليهود الذين قدموا إلى القدس من اوروبا إلى قسمين :

أ ـ السفرديم :

وهم الذين هاجروا إلى القدس من إسبانيا والمغرب إثر سقوط الأندلس عام 898ه/ 1492م ، وقد شكلوا أغلبية اليهود في القدس ويتكلمون بلغة ممزوجة بين الإسبانية والعبرية[5] .

ب _ الأشكينازيم :

الذين قدموا من شرقي أوروبا ووسطها أي من روسيا ورومانيا عام 1112ه/1700م لدوافع دينية وعرفوا أيضا بالسكناج ، و لم يكن هؤلاء مرغوبيين من أبناء جلدتهم السفرديم بحيث لم يكونوا يسمحون لهم بأداء صلاتهم في كنيستهم أو دفن موتاهم في مقبرتهم مما دفعهم إلى الهجرة إلى صفد والجليل[6].

وفي عام 1227ه/1812م اجتاح وباء الكوليرا منطقة الجليل فغادرها سبعون يهوديا من الأشكينازيم عائدين إلى القدس ، لكن الدولة منعتهم من دخولها خشية نقل العدوى ، فأقاموا في المغارات والكهوف حوالي عامين ، لكن في عام 1814م سمح لهم بدخول القدس[7] .

---

[1]ـــ الكاثوليكية : عرفوا باسم الروم الكاثوليك وهم طائفة جديدة تشكلت نتيجة الإنشقاق عن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية علم 1724م وتم إنتخاب بطريرك خاص بها . للمزيد أنظر: عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1864ـــ1914م) ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، 1969م ، ص 304.

[2]ـــ نفسه ، ص 239.

[3]ـ أنظر : الملحق رقم : 02 ، ص 91,

[4]ـــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 228.

[5]ـــ محمد عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، مج 1، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1999م ، ص 121.

[6]ـــ نفسه ، ص 121.

[7]ـــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع نفسه ، ص 229.

وقد بلغ عدد اليهود في مطلع القرن 19م 2250نسمة كما تم رئاستهم الحاخامات [1] الذين مثلوا مصالحهم لدى المحاكم الشرعية ، حيث نشطوا في الحياة الإقتصادية وجمعوا ثروات واسعة من عملهم في التجارة ومن هبات كانت تأتيهم من شمال إفريقيا وهولندا ، وقد استغلوا أموالهم بإقارضها للسكان مقابل فوائد عالية [2].

2 ـ المسيحيون :

سكن المسيحيون في مدينة القدس وفي القرى المجاورة لها وقد بلغ عددهم في مدينة القدس 2774 شخصا حيث أقاموا في محلات خاصة بهم منها محلة النصارى والزراعنة والحدادين وتنقسم الطوائف المسيحية في القدس إلى :

أ ـ الروم الأرثوذكس :

شكل الروم الأرثوذكس [3]غالبية النصارى في القدس وتألفت هذه الطائفة على حد كبير من العرب ومن الرهبان اليونانيين الذين سيطروا عليها وقد بلغت أعداد هذه الطائفة في سنة 1221ه/1806م حوالي 1400 شخص ، وكان لهؤلاء الروم مترجم ذكرته سجلات محكمة القدس الشرعية عرف باسم الترجمان وسمي المترجم كذلك بالمعلم ،كان هذا الترجمان مكلف بوظيفة الترجمة بين القاضي الشرعي والرهبان ويظهر أن سبب التسمية هو أن المترجم كان يمثل مصالح طائفته من بيع وشراء وغير ذلك في المحكمة الشرعية .وقدكان لرهبان الروم وكيل يقوم بتمثيلهم في الدعاوى وقد ذكرته السجلات بعبارات تفخيمية مثل فخر الملة المسيحية وزين العشيرة العيساوية ، ويعين الوكيل من قبل البطريرك[4] المقيم في الأستانة ونجد أن الروم الأرثوذكس قد حظي بحماية بعض الدول الأجنبية كروسيا التي فتحت قنصلية لها في يافا لرعاية الحجاج المسيحين الروس القادمين إلى القدس[5] .

ب ـ الروم الكاثوليك (الإفرنج):

---

[1] ـــ الحاخامات : مفردها الحاخام ، ويقصد به رئيس طائفة اليهود . للمزيد أنظر : حلمي خليفة علي درادكه ، يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر (دراسة إجتماعية ـــ إقتصادية) ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، 2014م ، ص 117.

[2] ـــ نفسه ، ص 229.

[3] ـــ الأرثوذكس : هي كلمة يقصد بها الفكرة القومية المطابقة لتعاليم الكنيسة وذوو العقيدة السوية ، وهم أتباع الكنيسة الشرقية ، للمزيد أنظر :عبد الوهاب الكيالي ، الموسوعة السياسية ، ج1 ، ط1، 1979م ، ص 387.

[4] ـــ البطريرك : هي وظيفة دينية خاصة بالديانة المسيحية ، تطلق على بعض الرؤساء الدينين ، الذين تمتد سلطاتهم إلى عدد من الأساقفة . للمزيد أنظر : محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، مج 1 ، ص 200.

[5] ـــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 221.

بلغ عدد أفراد هذه الطائفة حسب ماذكره ــ **Seetzen**ــعام 1221ه/1806م نحو800شخص ينتمون إلى جنسيات مختلفة من الإسبانية والعربية والإطالية والفرنسية .

وحسب السجلات الشرعية فقد كان لهذه الطائفة كذلك مترجم ــ الترجمان ــ بالإضافة إلى وكيل كان يعينه بطريق الكاثوليك في روما من أجل تمثيل الطائفة في المصالح المختلفة ، وقد حظيت هذه الطائفة برعاية فرنسا لها من خلال تدخل قنصلها في الأستانة لدى السلطان العثماني لتخفيض الضرائب المفروضة على الكاثوليك ،كما توسطت لدى السلطان من أجل السماح للطائفة بإعادة الجزء المحترق من كنيسة القيامة إثر الحريق الذي أصابها عام 1223ه/1808م[1].

حيث شكل الفرنسيسكان نسبة كبيرة من كاثوليك القدس وهم مجموعة شكلها القديس فرنسيس في روما في القرن 13م ثم أرسلها إلى القدس لحراسة الأماكن المقدسة وخلال القرن 19م انحصرت مهمتهم في رعاية الحجاج المسيحين القادمين إلى القدس وكان الفرنسيسكان يتلقون مساعدات من الدول الأوروبية بلغت 6 ملايين فرنك فرنسي خلال الفترة المتدة بين 1650م1850م[2] .

ج ـ الأرمن :

جاء هؤلاء من ولايات الأناضول المختلفة وكردستان وجاوروا في الجنوب الغربي من القدس حيث يقع جبل صهيون وسميت منطقة سكنهم بمحلة الأرمن وقد بلغ عددهم خلال مطلع القرن 19م عام 1221ه/1806م حوالي 500شخص وتعد طائفة الأرمن من أغنى الطوائف المسيحية في القدس ، بسبب عملهم في التجارة وظهر ذلك على أبنيتهم من أديرة[3] ودور التي اتسمت بالجمال .كانت هذه الطائفة تابعة لبطريركية الأستانة حتى عام 1238ه/1823م ثم أصبحت لهم بعد ذلك التاريخ بطريركية في القدس كما كان لهذه الطائفة مترجم ــ الترجمان ــ[4].

د ـ الأقباط :

قدم هؤلاء الأقباط من مصر والحبشة للإشتراك في الإحتفال الذي أقيم بمناسبة افتتاح كنيسة القيامة وهكذا ظل قسم منهم في القدس اذ استقر البعض منهم في دير السلطان والبعض الآخر قرب الكنيسة ونجد أن

---

[1] ــ زياد عبد العزيز المدني،المرجع السابق، ص 222.

[2] ــ نفسه ، ص 223.

[3] ــ أديرة : مفردها دير ، ويقصد بها المبنى المعد لسكنى الراهبات أو الرهبان الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين . للمزيد أنظر : علي مولا ، الموسوعة العربية الميسرة ، مج 3 ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، ص ص 1569 ــ 1570.

[4] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع نفسه، ص 223.

عدد هؤلاء خلال عام 1221ه/1806م قد بلغ نحو 50شخص ، ونجد أن السجلات لم تذكر أنه كان لهذه الطائفة ترجمان أو وكلاء وإنما أشارت السجلات إلى رهبانهم فقط[1] .

ه ـ السريان :

جاء هؤلاء السريان من سوريا عندما احتل الصليبيون القدس وبعد أن استرجعها المسلمون ظلوا في المدينة ، وانقسم هؤلاء إلى قسمين السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك [2]، وحسب ماذكره ــSeetzenــ أن هؤلاء بلغ عددهم 11شخصا فقط خلال القرن 19م .

و ـ الموارنة :

كان يعيش هؤلاء في محلة عرفت باسمهم ــ محلة الموارنة ــ وصنف هؤلاء من بين الطوائف المسيحية أقل عددا في مدينة القدس ، فهؤلاء سكنوا في القدس واتخذوها وطنا لهم بالإضافة إلى بعض الزوار الذين كانوا يمكثون فترة محدودة منهم التجار والحجاج والزوار، وكان منهم من تتاح له الفرصة للإقامة بها ، وقد كان يأتي بعض الموارنة المسيحين كحجاج من اليونان وإسبانيا وإطاليا وأرمينيا وقد شكل هؤلاء الحجاج مصدر رزق للقدس ، حيث كان كل منهم يصرف 200قرش أسدي بين التكاليف المعيشية وأثمان الهدايا والتبرع للأديرة [3]

المطلب الثاني : العلاقة بين السكان .

1* العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة :

أ- بين المسلمين واليهود :

عاملت الدولة العثمانية اليهود من منطلق أهل الذمة بشكل عام ، إذ فرضت عليهم الجزية وارتداء اللباس الأسود ومنعتهم كذلك من إنشاء كنائس جديدة ،كما أنه لم تكن تقبل شهاداتهم في المحكمة الشرعية وعدم توظيفهم في وظائف حكومية رفيعة [4]، بالإضافة إلى اتخاذ الدولة العثمانية بعض الإجراءات بخصوص اليهود وهي تحديد فترة إقامة الزوار اليهود في مدينة القدس بشهر واحد بعد أن كانت ثلاثة أشهر ، وقد كان الهدف من ذلك منع هجرة اليهود إلى القدس والحد منها فضلا عن أن اليهود الذين اشتروا عقارا في فلسطين

---

[1] ــ عارف العارف ، المسيحية في القدس ، د.ط ، د.د.ن ، القدس ، 1951 ، ص 125.

[2] ــ عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ،د.ط ،ج 2 ، مكتبة الأندلس ، القدس ، 1960م ، ص 535.

[3] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 228.

[4] ــ نفسه ، ص 229.

طلب منهم التوقيع على إتفاقيات خاصة مع السلطات المحلية حول تملكها وعائداتها مستقبلا ، وذلك للحد من تدفق اليهود عليها ومنع استقرارهم فيها تحت ذريعة الأسباب الدينية .كما قامت السلطات العثمانية بتحديد عدد اليهود المسموح لهم بالسكن بالقدس .[1]

تميزت العلاقة بين المسلمين واليهود بالهدوء والإستقرار حيث تعايشوا بسلام مع المسلمين ، إذ اندمج اليهود السفرديم بمجتمع مدينة القدس وكان أغلبيتهم يتكلمون اللغة العربية وحتى أنهم حملوا أسماء عربية ، وعملوا في التجارة والصناعة وتمكنوا من كسب ثقة الحكومة العثمانية واعتبارهم رعايا عثمانيين [2]عكس الأشكينازيم الذين لم ينسجموا مع المحيط العربي وحتى مع السفرديم والذين عرفوا بالخصام الشديد مع الأشكينازيم [3].

لقد أشارت وثائق الطوائف الحرفية إلى انخراط اليهود في حياة المجتمع وذلك انطلاقا من عملهم في الحرف والمهن والصناعات المدنية المتنوعة ،كما حرص اليهود على الخضوع لأوامر السلطة المحلية والعودة إليها في كل شاردة وواردة [4].

ب ـ بين المسلمين والمسيحين :

عملت الدولة العثمانية على تطبيق كل العهود التي منحها المسلمون للنصارى عبر العصور الإسلامية بحيث سمح العثمانييون لجميع الفئات العرقية والدينية التعبيرعن نفسها في إطار النظام العثماني ، وبذلك وفرت لهم الأمن والحماية وأوصت على احترامهم وعدم التعرض لهم ، وعاقبت كل من اعتدى عليهم ومنعت المسلمين من سبهم وشتمهم كي لا يسبوا الإسلام إذ لو اعتدى بعض المسلمين وارتكبوا مخالفات ضد النصارى تتخذ إجراءات رادعة بحق المسلمين المعتدين ،كما منعت التعدي عى الزوار والحجاج النصارى القادمين إلى الأراضي المقدسة [5].

---

[1] ـــ عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج 2 ، د.ط ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت.ن ، ص ص 237 ـــ 238.

[2] ـــ ليلى الصباغ ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، ج 2 ، ط 1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1409هـ/ 1989م ، ص ص 876 ـــ877.

[3] ـــ نفسه ، ص ص 876 ـــ 877.

[4] ـــ أحمد حسين عبد الجبوري ، المرجع السابق ، ص ص 271 ـــ 272.

[5] ـــ نفسه ، ص 263.

وفي المقابل فرضت الدولة العثمانية بعض القيود على النصارى ، ففي المجال المالي فرضت عليهم الجزية [1] مقابل حمايتهم وكذلك ضريبة العيدية التي تؤخذ من الأديرة من قبل بعض أعيان القدس والهبات السنوية والنصف السنوية لبعض العائلات المقدسية ، ورسم العبودية الذي تدفعه الأديرة للدولة بعد نهاية موسم الحج وضريبة الغفر[2] التي تؤخذ من الحجاج لقاء حمايتهم وعند دخولهم كنيسة القيامة ،[3] وضريبة العادة أو الخرجة التي تؤخذ من الأديرة أيضا لصالح أعيان القدس في كل سنة من شهر رمضان مقابل حماية الأديرة من التعديات التي تتعرض لها [4]، هذا وقد فرضت الدولة العثمانية قيودا أخرى على النصارى إذ منعتهم من قرع أجراس الكنائس بصوت مرتفع ومن ركوب الخيل والحمير ، ومنعتهم من اقتناء وحمل السلاح [5]،كما فرضت عليهم إرتداء اللون الأسود والازرق ومنعوا من ارتداء اللون الأبيض وارتداء العمائم على الرأس وعدم مخالطة المسلمين وفي الحمامات رجالا ونساءا[6]، وأن لايدفنوا موتاهم إلا في مقابرهم وعد قبول شهاداتهم في أغلب الأحيان ضد المسلمين في المحاكم إذ أن شهادة المسلم في المحاكم لايعادلها سوى شهادة شاهدين من غير المسلمين [7].

أما بالنسبة للنصارى الذين كانوا الذين كانوا يعتنقون الإسلام فقد كان يستوجب عليهم الذهاب إلى محكمة القدس الشرعية وإعلان إسلامهم أمام القاضي ، حيث نجد أن الصفات التي تميزت بها العلاقة بين المسلمين والنصارى حتى نهاية القرن 18م إتسمت بالتسامح وحسن الجوار والتعاون على الرغم من حدوث بعض المشاكل بينهم ، إذ تمتع النصارى بممارسة طقوسهم الدينية في الأعياد والحج بكامل الحرية داخل القدس ونادرا ماكان يتعرض المسلم لنصراني ، حيث كان المسلمون يتوسطون لحل النزاعات القائمة بين الطوائف النصرانية ، لذلك حاول رؤساء هذه الطوائف تحسين علاقاتهم مع حكام القدم المسلمين وأهل المدينة بهدف

---

[1] ــ الجزية : كانت في أوائل العهد العثماني تحصل من أهل الذمة ، وكانت تفرض على الأغنياء والمتوسطين والفقراء بدرجات مختلفة في كل سنة ، فالغني يدفع أحد عشر قرشا ، والمتوسط خمسة قروش ونصف القرش ، والفقير قرشين ونصف القرش . للمزيد أنظر : عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، د.ط ، دار المعارف ، مصر ، د.ت.ن، ص 126.

[2] ــ ضريبة الغفر :يدفعها الحجاج الذين يذهبون إلى فلسطين بقصد زيارة الأماكن المقدسة من اليهود والنصارى ، يدفعون فور وصولهم إلى ثغر يافا ، وكان قدرها سبعة قروش أسدية ونصف القرش عن كل شخص ، نصفها للدولة والنصف الآخر للأشخاص الدين يراقبون الحجاج في طريقهم بين يافا والقدس . للمزيد أنظر : عارف باشا العارف ، نفسه ، ص 127.

[3] ــأحمد حسين عبد الجبوري ،المرجع نفسه ، ص 264.

[4] ــ ا ــ ن بولياك ، الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، تر: عاطف كرم ، ط2 ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ــ لبنان ، 1948م ، ص 186م.

[5] ــ ليلى الصباغ ، المرجع السابق ، ص ص 796 ــ 797.

[6] ــ نفسه ، ص ص 714 ــ 716.

[7] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ص 226.

تعزيز وضعهم ونفوذهم في البلاد . وعرف رؤساء الأديرة سواءا من اللاتين الأرمن أو الروم بتقديم الهدايا الثمينة إلى الأفراد ذوي النفوذ وتقديم المساعدات للفقراء وبالتالي فإن هذا كان يعكس حسن وسلم العلاقات القائمة بين المسلمين والنصارى [1].

ومن الأمور التي زادت من تمتين العلاقات بين المسلمين والنصارى هو إنخراط النصارى في مختلف الطوائف الحرفية والصناعات في مجتمع مدينة القدس خلال القرن 18م [2].

2* العلاقة بين أهل الذمة :

أ ـ بين المسيحين واليهود :

اتسمت العلاقة بين النصارى واليهود بالهدوء النسبي والحذر ، حيث عاشوا بالقرب من بعضهم البعض في القدس وكانوا يشتركون في تنفيذ القرارات الخاصة بأهل الذمة كالضرائب والمحضورات والمسموحات ،كما عملوا جنبا إلى جنب في بعض الحرف والمهن في القدس وحتى سويا ، وهكذا نجد أنه كان هناك تواصل بين النصارى واليهود وإندماج في مجتمع القدس مع المسلمين في بيئة سلمية أقامتها الدولة العثمانية [3].

ب ـ بين الطوائف النصرانية :

جرت خلافات عديدة بين الطوائف النصرانية في القدس بشأن أولوية الدخول إلى كنيسة القيامة وإقامة الشعائر الدينية والإشراف على الخدمات اللازمة لهذه الكنيسة ، ومع بداية النزاع الي حصل في عام 1042ه/1632م بين الأرثوذكس والكاثوليك ، حصل الكاثوليك على فرمان من السلطان العثماني ينص على أن يتخلى الروم الأرثوذكس عن القبر داخل كنيسة القيامة للكاثوليك ،كما حصل الكاثوليك أيضا عام 1071ه/1660م على فرمان سلطاني جديد سمح لهم بترميم الكنيسة ومنحهم حق التقدم على الأرثوذكس في الصلاة ، وقد عاد هذا النزاع بين الطائفتين على العلاقات بين الدول الأوروبية ، إذ وقفت فرنسا إلى جانب الكاثوليك ، بينما وقفت روسيا لجانب الأرثوذكس ونتج عن ذلك حصول كل من الطرفين على امتيازات داخل كنيسة القيامة وهو الأمر الذي أدى بالأرمن إلى إشعال النار في الكنيسة عام 1221ه/1808م . حيث

---

[1] ــ بهجت حسين عبد الله صبري ،<< لواء القدس تحت الحكم العثماني 1840 ــ 1873 م>> ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ،1973 م ، ص 178.

[2] ــ احمد حسين عبد الجبوري ، المرجع السابق ، ص 227.

[3] ــ نفسه ، ص ص 273 ــ 274.

كان الخلاف بين الطوائف النصرانية يتجدد بسبب تأييد الدولة العثمانية ضد أخرى من حين إلى آخر إذ أصدرت الدولة عام 1225ه/1810م فرمانا ينص بعدم التعرض للكاثوليك في الأماكن المقدسة لهم [1].

وفي سنة 1227ه/1811م حظرت الدولة طائفة الأرثوذكس من إقامة مقدساتهم حسب العادة ، لأن ذلك يؤدي إلى مضايقة الكاثوليك [2].

وفي عام 1235ه/1819م منعت الدولة طائفة الأرمن من التقدم على الكاثوليك في إقامة صلواتهم كما تجدد الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس عام 1239ه/1823م بسبب رفع الأرثوذكس لصورة المسيح من المكان المخصص لها داخل كنيسة القيامة وإقامة صلاتهم في المكان الغير مخصص لهم ، فأصدرت الدولة فرمانا بمنعهم وأمرتهم بعدم استفزاز الكاثوليك [3].

إن هذا الخلاف لم ينحصر في القدس فقط ، وإنما امتد إلى القرى المجاورة حيث أخذ الأرمن يضايقون الكاثوليك في كنيسة المهد في بيت لحم أثناء صلاتهم [4]، كما نجد أن فلاحين القرى من بيت جالا وساحور غيروا من مذهبهم الكاثوليكي إلى المذهب الأرثوذكسي وعندها تدخل الكاثوليك لدى الدولة ، فقامت الدولة بتهديد الفلاحين بمصادرة أراضيهم وأموالهم إذا لم يرجعوا إلى مذهبهم الأصلي ومنعتهم من الصلاة في كنائس غير الأرثوذكسيين وبذلك عادوا مضطرين إلى المذهب الكاثوليكي [5].

المطلب الثالث : إحصاءات سكان القدس في الفترة العثمانية المتأخرة .

من الصعب تقديم إحصاءات دقيقة عن سكان القدس في الفترة الممتدة بين 1839م1914م وذلك لعدم توفر السجلات الإحصائية الرسمية ، فالإحصاءات التي سوف ندرجها الآن ليست إلا عبارة عن تقديرات قام بها عدد من الرحالة الأجانب وبيانات يهودية ضمنت في أجزاء التقارير والدراسات التي أعدت للمؤتمرات والأفراد الذين تكفلوا بتمويل المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بالإضافة إلى دفاتر النفوس العثمانية ودفاتر التحرير ، هذا النوع من الدفاتر كان يسجل فيه الإلتزامات المالية المفروضة على الرعية العثمانيين

---

[1] ــ فاطمة سليم الطراونة ورائد سامي حميد الدوري ، << سياسة الدولة العثمانية تجاه نصارى القدس من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية والإمتيازات الأجنبية (1153ــ 1246هـ / 1740ــ 1830 م) >> ، مجلة آداب الفراهيدي ، م 1 ، ع 16 ، 2013م ، ص 285.

[2] ــ نفسه ، ص ص 288 ــ 289.

[3] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع السابق ، ص 228.

[4] ــ فاطمة سليم الطراونة ، المرجع نفسه ، ص 293.

[5] ــ زياد عبد العزيز المدني ، المرجع نفسه ، ص 228.

كالجباية والتحصيل والسداد ، لكن هذه الدفاتر خصت اليهود والنصارى فقط ولم تشمل اليهود المهاجرين الملقبين بالممنوعين من الإقامة والاستيطان [1].

* إحصاءات السجلات العثمانية الرسمية لسكان القدس :[2]

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع الكلي للسكان في القدس
1849	6,148	3,744	1,790	11,682
1872ـــ1871	6,572	4,428	3,780	14,780

لكن أليكساندر شولش ـــ Alexander Scholch ـــ قدم إحصائيات لسكان القدس لسنة 1849أقل من الإحصائيات التي أوردت في الجدول الذي سبق [3].

السنة	المسلمو ن	المسيحيون	اليهود	المجموع الكلي للكان في القدس
1849	3,074	1,872	895	5,841

حيث رجح شولش قلة عدد السكان في مدينة القدس في هذه الفترة راجع لإنعدام الأمن نتيجة الحروب الأهلية بين السكان وهجوم القبائل البدوية على المدينة وتمردات السكان على الحكم المصري ، ورجح سبب قلة الطائفة المسيحية إلى المضايقات التي تعرض لها المسيحين بعد حملة نابليون على بلاد الشام والعلاقات المتوترة بين أهل القدس وطائفة الروم أما قلة عدد اليهود راجع إلى ارتحال الكثير منهم بحثا عن مصادر المال والربح الوفير[4] .

بعد ذلك أعاد الباحث شولش إحصائيات أخرى لعدد سكان القدس معتمدا هذه المرة على الدفاتر العثمانية [5].

---

[1] ـــ محمد عيسى صالحية ، المرجع السابق ، ص 43.

[2] ـــ نفسه ، ص 44.

[3] ـــ ألكزاندر شولش ، تحولات جذرية في فلسطين 1856 ـــ 1882م ، تر: كامل جميل العسلي ، ط2 ، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، 1988م ، ص 41.

[4] ـــ نفسه، ص 42.

[5] ـــ محمد عيسى صالحية ، المرجع نفسه ، ص 46.

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
1884	54,364	19,590	7,105	81,059
1914	70,270	32,641	18,190	121,101

وحسب دفتر مسودة النفوس ودفتر أساسي النفوس الموجودة في أرشيف مايسمى دولة إسرائيل كان عدد السكان كما يلي :[1]

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع الكلي للسكان
1905	11,000	8,000	13,400	32,400

ولكن هناك إحصائيات أخرى أوردت أنه خلال سنة 1905م كان مجموع سكان قضاء القدس 111,000ونوضح ذلك في الجدول التالي :[2]

السكان	العدد
المسلمون	68,000
المسيحيون	29,000
اليهود	14,000
المجموع	111,000

أما في الوثيقة المحفوظة في مكتبة جامعة استانبول كان العدد الإجمالي لسكان فلسطين لعام 1914م كما هو موضح في الجدول التالي :[3]

السكان	العدد
المسلمون	266,000
المسيحيون	40,900
اليهود	21,300

[1] ـــمحمد عيسى صالحية ، ص 45.

[2] ـــ نفسه ، ص 45.

[3] ـــ نفسه، ص 45.

المجموع	328,200

وحسب الإحصائيات التي قدمها الباحث شملز ــ Uziel Schmelz ــ لعدد سكان قضاء القدس حسب السجلات العثمانية كانت كما يلي :[1]

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
1880	54,400	19,600	7,100	81,100
1905	67,700	28,800	13,700	110,200
1914	70,300	32,500	18,200	121,000

ومن خلال هذه الإحصاءات التي سبقت نجد وفق شولش أكد أن إحصاءات أن سنة 1870 م كشفت أن عدد اليهود في القدس بلغ 3,780 وعددهم في كل قضاء القدس لم يتجاوز 5,500 يهودي وفي فلسطين إجمالا بلغ عددهم 9,280 يهوديا [2].

ووفق وثيقة جامعة استانبول فإن نسبة اليهود من مجموع سكان فلسطين سنة 1914م كانت 5,37% .

أما حسب قوائم شملز كانت نسبة اليهود من مجموع سكان قضاء القدس في سنة 1914م 15% وذلك لأن مدينة القدس وقضاء القدس كانت من المناطق المستهدفة للإستيطان .

أما بالنسبة للإحصاءات التي قدمها اليهود عن مدينة القدس والمدن التي كانت موضع أطماعهم مثل يافا وحيفا وطبريا وصفد وعكا ، اعتمدوا فيها على التقارير المقدمة للمنظمات الصهيونية واليهودية من بين هؤلاء يهوشع بن أريه ــ Yehoshua Ben Arieh ــ استاذ الجغرافيا في الجامعة العبرية أورد الإحصاءات التالية اعتمادا على ماذكره الرحالة Seetzen الذي زار القدس سنة 1806م واطلع على سجلات النفوس المدينة العثمانية التالي :[3]

السكان	المسلمون	اليهود	النصارى	الكاثوليك	الأرمن	الأقباط	الأحباش	السريان	المجموع
العدد	4,000	2,000	1,400	800	500	50	13	11	8,774

[1] ــ محمد عيسى صالحية، المرجع السابق، ص 46.

[2] ــ ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص 41.

[3] ــ محمد عيسى صالحية ، المرجع نفسه، ص 47.

وبعد النظر إلى مجموع سكان مدينة القدس فإن اليهود شكلوا نسبة 22% من المجموع أما بالنسبة للرحالة توبلر ــ Tobler ــ أعطى إحصاء عن مجموع سكان القدس 1839م كان 12,000ولم يفصل في عناصر السكان ودياناتهم أما بالنسبة لسنة 1840و1846م قدم الإحصاءات التالية :

* إحصاءات 1840 كانت عبارة عن أرقام تقديرية فقط غير رسمية .[1]

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	مجموع سكان القدس
1840	4,650	3,350	5,000	13,000

ولكن في سنة 1846 بلغ سكان القدس عددهم 17,173 وسوف نوضح ذلك في الجدول التالي :[2]

السكان	العدد
المسلمون	4,500
العساكر	1,600
المسيحيون	3,558
يونان الارثوذكس	2,000
يونان الكاثوليك	50
روم الكاثوليك	900
الأرمن	400
الأقباط	100
البروتستانت	50
الأحباش	38
السريان	20
اليهود	7,515
السفارديم	6,000
الأشكيناز	1,500
القراؤون	15
المجموع الكلي	17,173

[1] ــ محمد عيسى صالحية ، المرجع السابق، ص 47.

[2] ــ نفسه ، ص 48.

ويعود إرتفاع أعداد اليهود في قائمة توبلر لأنه شمل كل الحجاج والزوار والسياح اليهود الذين يتوافدون لزيارة القدس في المناسبات الدينية .

أما الاكاديمي ديفيد هيرست ــ David Hirst ــ أعطى ارقاما لم تتفق أبدا مع الأرقام التي وردت في القوائم السابقة .[1]

السنة	عدد سكان القدس	عدد اليهود
1887	43,000	28,000
1898	60,000	41,000

وقد ذكر آرثر روبين أن عدد اليهود في القدس زاد بين سنة 1880و1904م من 34,000 إلى 60,000 وأكد أن عدد اليهود سنة 1914م بلغ 85,000يهودي .

أما بطرس أبو منه أدرج إحصاءات لأعداد اليهود بالإعتماد على الأرقام التي أوردها الباحثون اليهود وذكر أن أعداد اليهود قد ازداد على النحو التالي :[2]

السنة	1839	1880	1900	1914
عدد اليهود في القدس	12,000	35,000	70,000	85,000

وقد ثبت أن هؤلاء اليهود هم من الأشكيناز والسفارديم ويهود من بخارى وخيوان وسمرقند ويمنيون .

وحسب ماوجدناه في المراجع التي اعتمدنا عليها في نقل هذه الإحصاءات والأرقام لعدد سكان القدس أن الأرقام التي قدمها اليهود هي نتائج غير موثوقة ،و أن الباحثين اليهود قد لجؤوا إلى التلاعب بالأرقام من أجل التضليل ووضع القارئ في الإرباك وهذه مسألة معروفة في السياسات الصهيونية .

ويؤكد على أن الإحصاءات العثمانية هي التي يمكن الوثوق بها لأنها سجلت كل رعايا الدولة بما فيهم اليهود وحتى الأجانب الذين تسللوا إلى مدن فلسطين خلال القرن 19م [3]، بطرق غير شرعية وهم الأجانب

[1] ــ محمد عيسى صالحية ، المرجع السابق ، ص 49.

[2] ــ نفسه ، ص 50.

[3] ـ أنظر : الملحق رقم :03 ، ص 91.

الممنوعين من الإقامة والإستيطان في فلسطين وقد ظل هؤلاء إلى غاية الإحتلال البريطاني لفلسطين في ديسمبر 1917 م [1].

المطلب الرابع :الزعامات والقوى المحلية .

برز خلال القرن 19م العديد من الزعامات المحلية التي اضطرت السلطة العثمانية للتعامل معها ، نتيجة معاناة الدولة العثمانية من تراجع قوتها بالخارج ، وذلك بين نهاية حكم الجزار 1804م والإحتلال المصري لبلاد الشام 1831م ، وبذلك ظهرت القوى المحلية التي أدت للتغيير في السياسة العثمانية اتجاه الزعامات الفلسطينية والمطالب المحلية في المشاركة في الحكم[2] .

من أبرزها العائلات المقدسية العريقة والتي كانت تتباهى بالدرجة الأولى بميزة اتصالها نسبا بالسلالة النبوية الشريفة ، أو بالقبائل العربية الأصيلة في الجزيرة العربية والمغرب العربي ، حيث شكلت هذه العائلات حلفا سياسيا وعسكريا قويا نجح في التعاون مع السلطة العثمانية [3] وظهر ذلك لأول مرة عندما تعززت المصالح المشتركة فيما بينهم ووقفوا جميعا ضد مطامع محمد علي باشا[4] والي مصر ، وقد اعترف إبراهيم باشا [5]بشجاعة وبسالة هذه القوى المحلية التي قاتلته ، من خلال ثورة سنة 1834م ، والتي شهدت مشاركة لسكان فلسطين من الشمال إلى الجليل حتى الجنوب ، الخليل وغزة ، واستمر تسلطها بعد عودة العثمانيين إلى أن عين على القدس مصطفى ثريا باشا في عام 1857م فتمكن من القضاء على عدد كبير من نفوذ هذه الأسر في الفترة مابين 1858/1861م ، واستمر العثمانييون بعد ذلك في محاولة إخضاع الزعماء المحليين لسلطتهم [6].

---

[1] ــ حلمي خليفة علي درادكه ، المرجع السابق ، ص 187.

[2] ــ عبد الكريم رافق ، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى العام 1326هـ / 1918م ، في الموسوعة الفلسطينية ، ق 2 ، مج2 ، بيروت ، 1990 م ، ص896.

[3] ــ بيان نويهض الحوت ، .المرجع السابق ، ص ص 416 ــ 417.

[4] ــ محمد علي باشا : (1769 ــ 1849م) كان موظفا صغيرا ، جاء في حملة إلى مصر لإجلاء نابليون منها ، كما تخلص من المماليك ،ووضع أسس حكمه بتغلبه على الوهابيين (1811 ــ 1819م) ، أحرز انتصارات باهرة حتى وصل إلى كوتاهية 1833م ، لكنه تراجع بموجب اتفاقية لندن 1841م . للمزيد أنظر : علي مولا ، المرجع السابق ، مج 6 ، ص 3053

[5] ــ ابراهيم باشا : (1789 ــ 1848م) هو الإبن الأكبر لمحمد علي ، عينه أبوه قائدا للحملة على الوهابيين (1816 ــ 1819م) لإخماد ثورتهم والقضاء عليهم ، كما عين نائبا عن أبيه في حكم مصر سنة 1848م . للمزيد أنظر : علي مولا ، نفسه ، مج 1 ، ص 6 .

[6] ــ ــ عبد الكريم رافق ، المرجع نفسه ، ص 897.

نجحت العائلات المقدسية مثل عائلة الحسيني في تقلد وظيفة الإفتاء ونقلها بين أبناء العائلة بالوراثة ، إذ احتكر آل الحسيني في أوائل القرن 19م ثلاثة وظائف مهمة الإفتاء ، ونقيب الأشراف ، ومشيخة الحرم القدسي كما تقلد أبنائها وظائف مهمة أخرى في التدريس وتولي أوقاف عامة [1].

احتلت عائلة آل الخالدي مكانة مهمة بين علماء القدس وأعيانها خلال أجيال متتالية ، وكان مصدر نفوذ أبناء هذه العائلة عملهم في المحكمة الشرعية كتابا ورؤساء لكتاب المحكمة ، ونوابا للشرع[2] .

بالإضافة إلى بروز عدد من العائلات عريقة الوجود في القدس كان لها دور مهم من خلال تقلدها للوظائف العلمية والإدارية منها عائلة العلمي ، والدجاني ، النشاشيبي ، وأبو السعود وغيرها .

ليس هذا فحسب بل كانت هناك ثلاث عائلات أخرى مهمة أكدت الكتب التاريخية على أهميتها في نواحي لواء القدس في مطلع القرن 19م ، حيث توارثت زعامتها في مناطقها لعدة أجيال ، ونجحت في بسط نفوذها إلى خارج حدود نواحيها والمتمثلة في :

ـــ آل أبو غوش وهم مشايخ ناحية بني مالك وزعماء من اليمن في جبل القدس ، وكانت قرية العنب على طريق يافا والقدس معقلهم .

ـــ آل سمحان هم مشايخ ناحية بني حارث وزعماء صف القيس في جبل القدس ومعقلهم بقرية رأس الكركر .

ـــ آل العمرو وهم مشايخ ناحية جبل الخليل وزعماء صف القيس ومعقلهم بطوران [3].

بالإضافة إلى هذه العائلات الرئيسية كان هناك عائلات مشايخ مهمة في النواحي الأخرى التابعة للواء القدس[4] منه عائلة اللحام في ناحية العرقوب وعائلات من أبوديس في ناحية الوادية وعائلة البرغوثي ومعقلهم

---

[1] ـــ ولاء حلمي حسن شيوخي ، المرجع السابق ، ص 2

[2] عادل مناع ، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800ـــ1917م) ، ط2 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ،أفريل 1995م ، ص 135.

[3] ـــ نفسه ، ص ص 25 ـــ354.

[4] ـــ اللواء : جمعه ألوية ، ويطلق عليه السنجق ، فهو تنظيم إداري تميزت به الدولة العثمانية ، يضم عددا من النواحي وكل ناحية تشمل عددا من القرى . للمزيد أنظر : سهيل صابان ،المرجع السابق ، ص ص 196 ـــ 197 . قسمت الشام في العهد العثماني إلى ثلاث ولايات : ولاية حلب طرابلس ، الشام ، وكل ولاية قسمت إلى عدد من الألوية (السناجق) حيث ضمت ولاية الشام كل من دمشق وتدمر وعجلون والكرك وغزة و القدس ونابلس وصفد ولجون .

في دير غسانة في ناحية بني زيد وعائلة العزة وعائلة العملة في جبل الخليل وغيرهم [1].

ونجد أن هؤلاء المشايخ قد لعبوا دورالوسيط بين الدولة والأهالي ، وقاموا بالسيطرة على العديد من صلاحيات الحكم والإدارة ، وصار لهم دور مهم في حفظ أمن الطرقات وتأمين عابري السبيل وحمايتهم ، كما أصبحوا يجبون الضرائب من عابري السبيل وأهمها ضريبة الغفر مقابل حمايتهم على تلك الطرقات وشيئا فشيئا صار مشايخ النواحي والقرى جزءا من بنية الإدارة المحلية يتولون جباية الضرائب من الأهالي ، أو التزامها مقابل حصولهم رسميا على نسبة من مجموع الضرائب[2] .

توطن بعض عائلات مشايخ النواحي في المدن ، وأصبحوا جزءا عضويا من نخبتها الإجتماعية السياسية ففي نابلس توطن آل جرار وقاسم الأحمد وعبد الهادي والجيوسي والبرقاوي ، بحيث تسلموا وظائف عالية مثل وظيفة المتسلم ، وبات هناك تداخل بينهم وبين عائلات النخبة النابلسية مثل طوقان والنمر كانت صحبة إقطاعات ومصالح اقتصادية متشعبة في المناطق الريفي ، وفي القدس تعاون آل الحسيني مع مشايخ آل أبو غوش المسيطرين على طريق القدس ،كما أقاموا علاقات تعاون مع مشايخ النواحي الأخرى في جبال القدس والخليل وأهم ماميز هذه العائلات هي أنها تمكنت من الجمع بين مقومات الزعامة والشرف والعلم والمال[3] .

أما في لواء نابلس فقد برز العديد من عائلات الأمراء والأغوات الذين تنافسوا فيما بينهم على تولي حكم اللواء ، وتوزعوا على فريقين ترأس أحدهما آل جرار والنمر ، بينما الفريق الثاني تزعم من طرف آل طوقان ، وإذا كان آل طوقان قد نافسوا آل الجرار في شأن متسلمية نابلس ، بل احتكروها عدة أعوام أيام حكم موسى بك طوقان ، فإن آل جرار حافظوا على تقلد منصب متسلمية لواء جنين التابع لولاية الشام أيضا واحتكروه بلا منازع بعد أن ورثوا خلال القرن 18م مكانة آل طراباي في تلك المنطقة [4].

تمتع سكان جبل نابلس منذ القرن 18م بقدر كبير من الحكم الذاتي تحت مظلة الحكم العثماني ، فبينما اكتفى أبناء النخبة المحلية في القدس بتقلد المناصب العلمية والدينية وتركوا لولاة الشام تعيين المتسلمين

---

[1] ــ عبد الكريم رافق ، المرجع السابق ، ص ص 897 ــ 900.

[2] ــ محمد عبد الرؤوف ثامر ، <<الأوضاع الإجتماعية في فلسطين خلال العهد العثماني >> ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، ع 19 ، د.ت .ن، ص 33.

[3] ــ الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا ، تاريخ فلسطين العثماني ، ح 2 من عهد ظاهر العمر إلى الإحتلال المصري .

[4] ــ نفسه .

من رجالهم ومعاونيهم ، شغل أبناء العائلات المحلية في نابلس معظم الوظائف العسكرية والإدارية ، إضافة إلى العلماء في المحكمة الشرعية[1] .

وخلاصة القول أن الدولة العثمانية حافظت على التنوع السكاني المختلف في فلسطين ، وعملت على إبقاء الإدارة المحلية بيد الأسر الشريفة التي بسطت نفوذها على السكان المسلمين وغير المسلمين .

[1] ـــ الموسوعة الحرة ،ويكيبيديا ، المرجع السابق.

المبحث الثاني : الأوضاع الإجتماعية في القدس

المطلب الأول : الأوضاع التعليمية .

المطلب الثاني :الأوضاع الأمنية .

المطلب الثالث : الأوضاع الصحية .

المطلب الرابع : المجتمع الفلسطيني

خلا الحرب العالمية الأولى .(1914ـ1918)

المبحث الثاني : الأوضاع الإجتماعية في القدس.

شهد المجتمع الفلسطيني في العهد العثماني خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م ، مجموعة من التغييرات والتطورات ، حيث ارتبطت أوضاعه التعليمية والأمنية والصحية ارتباطا مباشرا بأوضاع الدولة العثمانية ، فقد عرفت فلسطين كغيرها من أجزاء بلاد الشام الكثير من القلاقل والفتن والحروب الداخلية التي انعكست على استقرارها وتطورها ، حيث لايمكن للعلم والصحة أن يتطور في ظل غياب الأمن وعدم تطور مؤسسات المجتمع السياسية والإقتصادية والإجتماعية .

المطلب الاول : الأوضاع التعليمية .

حظيت القدس بمكانة هامة لأهميتها الإسلامية والتاريخية فقد لقي التعليم لديها رعاية وعناية خلال حكم المماليك ، والذي ازدهر بازدهار العامل الإقتصادي المتمثل في الأوقاف ، حيث انتشرت المدارس في مختلف المدن الفلسطينية كالخليل ونابلس ، الرملة و صفد باعتبار التعليم من شعائر الإسلام بالإضافة إلى المساجد والمؤسسات التعليمية الصوفية كالربط والخوانق والزوايا ، والتي كانت تدرس فيها العلوم الشرعية تفسير وعلوم الحديث والقرآن الكريم وعلوم اللغة بدعم من الأوقاف التي كانت مصدر الإنفاق عليها سواء رواتب المدرسين والإداريين أو تدريس الطلبة الفقراء وتلبية كافة خدماتهم ، لكن تذبذب الحالة الإقتصادية فلسطين أدى إلى وجود مراحل قوة وضعف خلال أواخر العهد العثماني .[1]

التعليم العربي الإسلامي في فلسطين في أواخر العهد العثماني :

وباعتبار أن فلسطين جزء لايتجزأ من الدولة العثمانية الإسلامية ارتبط فيها التعليم بظروف الدولة الحاكمة سياسا واقتصاديا وإجتماعيا ،حيث عرف في بداية العهد العثماني مرحلة قوة تمثلت في محافظة العثمانيين قدر المستطاع على ماكان في عهد المماليك ، فقد كانت المدارس مقسمة حسب التقسيم لفلسطين والذي يتمثل في متصرفية القدس التي شملت كلا من القدس ويافا وغزة وبئر السبع والخليل ، ثم عكا ، ولواء نابلس[2].

وعليه عرفت فلسطين في أوآخر القرن 18م وأوائل القرن 19م العديد من المدارس منها التقليدية والتي كانت مقسمة إلى نوعين ، الأولى معاهد تعليمية خاصة بالصغار ويطلق عليها الكتاب ويدرس فيها

---

[1] ــ محمد عبد الله محمد شلح ، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية (1516 ــ 1917م) ، ط1 ، دار الإحياء الثقافي ، القاهرة ، 1424هـ/ 2003م ، ص ص 95 ــ 98 .

[2] ــ نفسه ، ص ص 147ــ 148.

مبادئ الدين والقرآن ، والنوع الثاني معاهد خاصة بالكبار وتسمى المدارس وتدرس فيها العلوم الدينية والشرعية ، وقد كان التدريس فيها يتم وفق أساليب قديمة لم تتغير لمدة طويلة [1].

لكن مع منتصف القرن 19م شهد التعليم بداية جديدة إذ بدأت الدولة العثمانية ترى بضرورة إحداث إصلاحات في مختلف المجالات في فلسطين بهدف توطيد دعائم حكمها ، وهو ماسمي بعصر [2](1839ـ1876م) ، والذي أوجدت من خلاله سياسة تعليمية ذات أهداف واضحة ، فقامت بإصدار منشور خط كلخانة[3] سنة 1839م ، الذي يضمن حرية العبادة ، وإعلان المساواة بين كل الرعايا ، التعليم ، كما تم إصدار قانون سنة 1845م يقر بمبدأ إلزامية التعليم وتقسيمه إلى المدارس الإبتدائية ، السلطانية ، والعالية .[4]

ثم قامت بتشكيل ديوان المعارف سنة 1846م ، وتشكيل لجنة للمعارف لمراقبة المدارس ، كما شكلت في كل لواء لجنة متكونة من المتصرف ، و مفتش وأعضاء طبيعيين ، بحيث ينظرون في رواتب وتعيينهم ، ليس هذا فقط بل أصدرت قانونا آخر سنة 1856م وهو الخط الهمايوني[5] ، والذي تم بموجبه السماح لمختلف السكان والطوائف بإنشاء مدارس دون تمييز[6] ، وقانون 1869م الذي أوجد أول نظام للتعليم العثماني ، الإبتدائي والثانوي والذي تضمن : اعتبار اللغة التركية أساسية في جميع المدارس الحكومية وإلزامية اللغة الفرنسية بالمدرسة الرشدية ، وإلزامية التعليم في المرحلة الإبتدائية بشرط أن يدفع الأهالي إنشاء المدارس وتعميرها ورواتب المعلمين[7] .

وعليه انقسمت المدارس في فلسطين في العهد العثماني إلى :

---

[1]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص 106.

[2]ـــ التنظيمات : وهي حركة تجديدية ، إدارية وسياسية كانت ترمي إلى التقريب بين المجتمع العثماني والمجتمعات الغربية ، للمزيد أنظر: سهيل صابان ، المرجع السابق ، ص 75.

[3]ـــ خط كلخانة : أعلن في عهد السلطان عبد المجيد الأول ، لإجراء تغييرات جذرية في مؤسسات الدولة ، وإعلان المساواة بين جميع راعايا الدولة العثمانية ، للمزيد أنظر : نفسه ، ص ص 101ـــ102.

[4]ـــ فريدة محمدعلي جاموس ، دور العلماء في النظام التعليمي في القدس في أوآخر العهد العثماني 1800ـــ1917م ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ، كلية الدراسات العليا بيرزيت ـــ فلسطين ، 2010م ، ص ص 51ـــ52.

[5]ـــ الخط الهمايوني : وهو الإسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة عن السلاطين وبكتابتهم وجاء للتأكيد على ما صدر في خط كلخانة ، للمزيد أنظر : سهيل صابان ، المرجع نفسه ، ص 101.

[6]- محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص ص 117ـــ118.

[7]ـــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع نفسه ، ص ص 52ـــ53.

أ ـ المدارس الإبتدائية : وهي التي يدرس فيها حفظ القرآن والتجويد ، والقرآءة والخط والعلوم ، والجغرافيا والحساب واللغة العثمانية [1]، ومدة الدراسة 3سنوات في المدن وأربع في القرى والنواحي [2].

ب ـ المدارس الرشدية :

نص نظام المعارف على ضرورة وجود مكتب رشدي ،في كل بلد يتجاوز عدد بيوته 500بيت ، كان السكان من مسلمين ومسيحين ، أما إذا كان أهل البلد من طوائف متعددة ، فيجب أن يقدر عدد البيوت بألف بيت [3]، ومدة الدراسة 3سنوات[4] ، ويدرس فيها مبادئ العلوم الدينية ، والقواعد العربية والحساب ، والهندسة والجمباز ، والأمور المذهبية لغير المسلمين كل حسب لغته ومذهبه [5].

ج ـ المدارس الإعدادية :

وتؤسس في مراكز الأقضية أو الألوية التي يتجاوز عدد سكانها 1000بيت ، ويتولى صندوق إدارة معارف الولاية جميع نفقاتها ، مدة الراسة بها 3سنوات [6]، تميزت بإدخال مواد جديدة في مناهجها ، الطبيعية والكيمياء ، والإقتصاد والجبر وغيرها[7] .

د ـ المدارس السلطانية :

ويقبل في هذه المدارس الطلاب الناجحون في إمتحان المدرسة الإعدادية ، وتوجد فقط في مراكز الولايات [8]، منها مدينة القدس ، ويجب على الطلاب دفع الرسوم التي تختلف من طالب إلى آخر وتدريس مختلف العلوم [9].

ه_ المدارس العالية :

---

[1]ـــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع السابق ، ص 55.

[2]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص 126.

[3]ـــ ـــزهير غنايم عبد اللطيف ، لواء عكا في عهد التنظيمات العثمانية 1281ـــ1337هـــ/1864ـــ1914م ، ط1 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1999م ، ص 270.

[4]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص 126.

[5]ـــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع نفسه ، ص ص 56ـــ 57.

[6]ـــ أنيس الأبيض ، الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر ، د.ط ، منشورات جروس ـــ برس ، طرابلس ـــ لبنان ، د.ت.ن ، ص 9.

[7]ـــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع نفسه ، ص 59.

[8]ـــ أنيس الأبيض ، المصدر نفسه ، ص 9.

[9]ـــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع نفسه ، ص 61.

ويقصد بها دار المعلمات والمعلمين ودار الفنون باللأستانة ، مدة الدراسة بها 3سنوات ، وقد اقتصرت على الطبقات الغنية لأن تكاليفها مرتفعة [1].

ومن بين مدارس المسلمين مكتب الرشدية 1868م ، المدرسة الرشدية 1876م بعكا ،المكتب الإعدادي بعكا سنة 1895م ، مدرسة نابلس 1897م ، المكتب السلطاني بالقدس الذي تحول إلى مدرسة إعدادية 1913م ، وقد بلغ عدد المدارس حسب السوافري 128 مدرسة[2].

لكن الظروف الإقتصادية كان لها الأثر على التعليم في فلسطين حيث عرفت مرحلة جديدة ألا وهي مرحلة الضعف نتيجة اضمحلال الأوقاف وسوء الإدارة والتلاعب بالإيرادات الوقفية ، والإستيلاء على العقارات الوقفية وطمس معالم الوقف . وزيادة انشغال الدولة العثمانية بحروبها الخارجية وهزائمها واندلاع الحرب العالمية الأولى حيث أدت إلى امتناع العديد من الطلاب عن مدارسهم لسوء الأحوال والإقتصادية ، والتي أدت إلى غلق العديد من المدارس [3].

التعليم الأجنبي في فلسطين في أوآخر العهد العثماني :

تزامن ظهور التعليم الأجنبي مع ضعف الدولة العثمانية وزيادة التدخل الأجنبي بوجه خاص في العربي عن طريق الإرسالات التبشيرية[4] التي لم تقتصر على الجانب الديني فقط بل حتى ميادين أخرى ، من بينها التعليم مستغلين بذلك سياسة التسامح الديني لتكثيف نشاطاتها، وزيادة نفوذها السياسي والإقتصادي والعسكري والثقافي ، وحصولها على الحماية من طرف الدول الأجنبية مظهرة أنها تسعى لتطوير التعليم ونشر العلوم الحديثة ، وعلى رأسهم البعثات الفرنسية والأمريكية [5].

---

[1] ــ فريدة محمد علي جاموس ، المرجع السابق ، ص 62.

[2] ــ كامل السوافيري ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين من 1860ــ1960م ، د.ط ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979م ، ص 22.

[3] ــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص ص 113ــ 114ــ 124.

[4] ــ الإرساليات التبشيرية : وهي منظمات دينية ، تستهدف تعليم الدين المسيحي ، ونشره في دولة ما أو خارجها ، للمزيد أنظر : علي مولا ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 227.

[5] ــ سليم عرفات المبيض ، غزة وقطاعها ــ دراسة خلود المكان وحضارة السكان من العصر الحجري الحديث حتى الحرب العالمية الأولى ــ د.ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م ، ص 346.

إلا أنها في حقية الأمر كانت تعمل على تنصير وتغريب المسلمين وتنمية الشعور الطائفي لدى الغير مسلمة ، والتي أدت إلى إنقسام الأمة .[1] وهو ماجعل الباحثيين المسلمين يعتبرون أن التنظيمات خيانة للإسلام وانتقاصا لمكانتهم ، وأن السلطان عبد المجيد الأول [2]ليس سوى خائن .[3]

ففي الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تسعى لإحياء التعليم في المدارس العربية ، عملت المدارس المسيحية واليهودية على نشر ديانتها وترسبخ دعائمها وإثبات وجودها [4] .وبالتالي عرف التعليم الأجنبي قسمين التعليم المسيحي والتعليم اليهودي .

أ ـ التعليم المسيحي :

والذي انقسم إلى ثلاثة مدارس مهمة :

1* المدرسة البروتستانتية :

وهي مدرسة إنجليزية ألمانية بروسية ، ساندت خطط المستعمرين الألمان وخطط الاستيطان و قد بدأت البوادر الأولى لإنشاء المدارس البروتستانتية من طرف صاموئيل غوبات الذي كان نائب الكلية البروتستانتية[6] في مالطا لدراسة الكتاب المقدس ، لكن اصطدم بمعارضة الطوائف الأخرى ، والتي اعتبرتها للحقوق الدينية للطوائف المعترف بها من طرف الدولة ، لكن رغم ذلك استمرت في فتح المدارس حتى عددها 25 مدرسة منها[7] ، الراعوية 1847م بالقدس ، ومدرسة نابلس 1848م ، كما أنشؤا في عام 1851م مدرسة للصبيان ، ثم افتتاح مدرسة للإناث1867م من طرف أرملة هوبر[8].

---

[1]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص 199.

[2]ـــ عبد المجيد الأول : 1823ـــ1861م ، وهو ابن محمود الثاني ، قام بإصلاحات كثيرة لكنها لم تعمر طويلا، للمزيد أنظر : علي مولا ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 2212.

[3]ـــ عبد الرؤوف سنو ، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877 ـــ 1881م (بلاد الشام،الحجاز،كردستان،ألبانيا) ، ط1 ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ـــ لبنان ، 1998م ، ص ص 35 ـــ 36.

[4]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص 201.

[5]ـــ نفسه ، 204.

[6]- البروتستانتية : وهي حركة دينية تنطوي على أفكار تحررية في الأمور الدينية ، للمزيد أنظر : علي مولا ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 687.

[7]ـــ علي محافظة ، العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1841ـــ1945م ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981م ، ص ص 44ـــ46.

[8]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص ص 204ـــ205.

كما اهتم البروتستانت بإنشاء مدارس للإناث سنة 1855م بالناصرة وإنشاء مدرستين في شفا عمرو واحدة للذكور والأخرى للإناث ، وبعدما كانت تشرف عليها مطرانية القدس البروسية الإنجليزية تم نقلها جمعية تهذيب الفتاة الإنجليزية لتزيد من توسع المدارس في المدن الأخرى [1].

بالإضافة إلى إنشائها مدرستين في قضاء يافا ونابلس ، واحدة للذكور والأخرى للإناث و4 مدارس بغزة والعديد من المدارس الأخرى ، و22مدرسة في صفد على المستوى الإعدادي منها الغير رسمية التي فيما بعد بسبب عدم حصولها على رخص أوانتمائها للدول المحاربة ، وهذا مايفسر التطور الملحوظ للتعليم الأجنبي مقارنة بالإسلامي ، و حرصهم على التغلغل والسيطرة على البلاد [2].

وقد كانت هذه المدارس تركز في مناهجها على تدريس اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات ، إضافة العلوم الرياضية والطبيعية والفنون والكتاب المقدس والتاريخ ...إلخ [3].

متبعة مجانية التعليم في بدايتها ثم فرض رسوم على طلابها ، أما المعلمون والمعلمات فقد كانوا .وقد بلغ عدد المدارس 79 مدرسة مرتكزة في المدن الرئيسية خلال هذه الفترة [4].

وبالتالي قامت بدور خطير في التعليم الأجنبي في فلسطين بالرغم من محاولة الدولة العثمانية فرض رقابتها على نشاطاتها .[5]

2*المدرسة الأرثوذكسية :

نظرا لاعتبار روسيا حامية الأرثوذكس ووجود أغلب الأرثوذكس من المسيحين العرب في فلسطين اهتمت في القرن 19م بإنشاء مدارس لهذه الطائفة لتقوية المذهب الأرثوذكسي ، ونشر الثقافة الروسية للتصدي للإرسالات التبشيرية التي تسعى إلى تحويلهم إلى المذاهب الأخرى [6]حيث أنشئت أول مدرسة لحم 1706م ومدرسة للروم الأرثوذكس 1890م[7] .

---

[1]ـــ زهير غنايم ، المرجع السابق ، ص 279.

[2]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص ص 212ـــ216

[3]ـــ نفسه ، ص 214.

[4]ـــ نفسه ، ص ص 214ـــ216.

[5]ـــ نفسه ، ص 215.

[6]ـــ زهير غنايم ، المرجع نفسه ، ص 280.

[7]ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص 218.

وقد تولت الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية الروسية ، الإشراف على إنشاء المدارس في فلسطين ، حيث افتتحت أول مدرسة سنة 1882م بقرية المجدل ، لمقاومة النشاط البروتستانتي في المنطقة ليتوالى افتتاح المدارس ، فقد أنشأت مدرسة للإناث 1883م ، ومدرسة أخرى سنة 1885م ، كما أنشئت مدرسة داخلية ومدرستين خارجيتين ، واحدة للذكور وواحدة للإناث [1].

كما نجد أن معظم مدارسها موجودة برام الله نظرا لكثافة الوجود المسيحي بها ، والراجع إلى الدولة العثمانية توقيع معاهدة مع روسيا ــ كوتشك قينارجه 1774مــ التي أعطتها الحرية المطلقة في الأرثوذكس وبناء المدارس لها ، منها ماهو مخصص للبنين والبنات ودار للمعلمين [2].

لكن هذا لم يمنعها من إقامة مدارس أو مؤسسات تعليمية بالمدن الأخرى حيث أنشئت مدراس ابتدائية في الناصرة سنة 1889م ، ومدرسة ببيت لحم سنة 1896م ، ومدارس أخرى بالقدس والجليل وصل عددها إلى 23مدرسة ، وغيرها من مدارس داخلية وأخرى خارجية وخاصة كالدير ، ولم تقتصر على فلسطين بل امتدت إلى سوريا سنة 1895م والتي وصل عددها إلى 58 مدرسة[3] .

وقد تميزت بشدة الإقبال عليها نظرا لمجانية التعليم واهتمامها باللغة العربية أكثر من المدارس ومراعاتها للخصائص القومية للسكان العرب ، معتمدة في مناهجها على إدخال موضوع تاريخ الخلافة الإسلامية وتعليم القراءة والكتابة بالعربية ، بالإضافة إلى علم اللاهوت واللغات والجغرافيا والحساب البدنية وغيرها [4].

3*المدرسة الكاثوليكية :

في إطار الصراع الطائفي بين المذاهب الثلاث اعتبرت فرنسا نفسها حامية الكاثوليك ضرورة توجيه ومساعدة المدارس التي تنشئها الطوائف الكاثوليكية ، بهدف جذب المسلمين إلى مدارسها وأولاد الطوائف الأخرى ، فأوجدت الإرساليات العلمانية[5] فأخذت تنشئ المدارس الفرنسية العلمانية ملتزمة الحياد في

---

[1]ــ زهير غنايم ، المرجع السابق، ص ص 280ــ281.

[2]ــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص ص 219ــ220.

[3]ــ نفسه ، ص ص 223ــ 226.

[4]ــ نفسه ، ص 230.

[5]ــ العلمانية : تقوم على أساس الإنتماءات الدينية والطائفية ، من شأنها أن يعنى الدين بتنظيم العلاقة بين البشر وربهم ، وفصل الدين عن الدولة ، وتنظيم العلاقات الإجتماعية على أسس انسانية ، أي إخضاع المؤسسات والحياة السياسية لإرادة البشر ، للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص ص 179ــ180 .

فيما يتعلق بالأمور الدينية ونشر لغاتها الفرنسية والإيطالية من خلال الجمعيات كالألمانية والفرنسية لأهداف وأطماع استعمارية [1].

وقد اهتمت في بدايتها بتدريس اللغة اليونانية و الصلوات ، ثم تطورت مناهجها وأصبحت تدرس اللغة العربية [2]، حيث تم تأسيس مدرستين ابتدائيتين في بيت ساحور واللتان تعدان من أقدم مدارس اللاتين فلسطين والتي تأسست في 1756م ، وإنشاء مدرستين ابتدائيتين لأطفال اللاتين في بيت جالا واحدة والأخرى للإناث . حيث ظهرت المدارس الفرنسية في فلسطين لتزويد حراسة الأراضي المقدسة بعدد من المترجمين للعمل في الأديرة وخدمة الحجاج المسيحين ،كما عملت على ترميم أديرتها ومدارسها وتحسين مستوى التعليم بتحويل المدارس من خاصة إلى عامة [3].

وإنشاء العديد من المدارس الأخرى الذي زاد انتشارها نظرا لصدور الخط الهمايوني الذي كفل حرية الترميم وإصلاح وإنشاء الكنائس [4]، وقد تراوح عدد المدارس من 27 إلى 84مدرسة والتي لايقل عليها عن المدارس الأخرى [5] .

ب ـ التعليم اليهودي :

إن الوجود الغير طبيعي لليهود بفلسطين في أوآخر العهد العثماني تميز بحضورهم من أماكن متعددة وهذا ماجعل لكل مجموعة منها عالمها الخاص ، ولكن برزت منها مجموعتين متباينتين في الأصل والدين ألا وهما الاشكينازيم والسفرديم ، وهوما أوجد تنوعا في المدارس والمناهج غير أنهم اجتمعوا وارتبطوا الديني حيث سعوا إلى إحياء اللغة العبرية والتراث اليهودي بفلسطين [6].

كما أنهم استفادوا كغيرهم من الطوائف الأجنبية من التنظيمات العثمانية ، فقد مارسوا حريتهم التعليمية بحرية خاصة حيث أنهم لم يفصحوا في البداية عن أطماعهم السياسية [7].

---

[1] ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص ص 234ـــ235.

[2] ـــ بيان نويهض الحوت ، المرجع السابق ، ص 418.

[3] ـــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص ص 236ـــ 237.

[4] ـــ نفسه ، ص 239.

[5] ـــ نفسه 246 ـــ247.

[6] ـــ نفسه ، ص 249.

[7] ـــ نفسه ، ص 254.

انقسم التعليم اليهودي إلى مدرستين ، مدارس دينية ويعتمد فيها على اللغة العبرية ، ثم الإنتقال إلى مدرسة اليشفا بتدريس التلمود والتاريخ والجغرافيا وآداب الحاخاميين،[1] بحيث انتشرت في المدن التي يزعم اليهود بأهميتها المقدسية كالخليل والقدس[2] ، بفضل حصولهم على الدعم من منظمات عالمية أوروبية مثل الأليانس العالي في فرنسا والجمعية اليهودية الإنجليزية [3].

فبعدما كان التعليم دينيا بحتا دخل مرحلة التحديث بظهور التيار العلماني في القرن 19م والذي إلى تعليم صهيوني تزامنا مع ظهور النشاطات الإقتصادية والتعليمية والدينية للقوى الإستعمارية في المنطقة العربية ولذا كان التعليم اليهودي من أخطر أنواع التعليم الأجنبي لأنه متشبع بالأفكار والقيم الصهيونية القائمة على العنصرية والكراهية للمجتمعات الأخرى من أجل إقامة وطن قومي[4] بفلسطين ،كما أن هذا التعليم اقتصرعلى اليهود فقط عكس التعليم المسيحي الذي استفاد منه الفلسطينيون . وقد أسسوا العديد من حيث بلغ عددها مايقارب 32مدرسة للذكور والإناث [5].

المطلب الثاني : الأوضاع الأمنية .

عرفت فلسطين وخاصة القدس وضعا أمنيا يتراوح مابين التدهور والإستقرار ، فقد شهدت العديد من الأزمات التي كان لها الأثر المباشر على استقرارها ، نظرا لمجموعة من العوامل والأسباب ففي القرن 19م الحكم المصري لفلسطين شهدت عدة تمردات على السيادة العثمانية والصراع بين ولاتها وخاصة بعد وفاة الجزار عام 1804م ، بالإضافة إلى الصراع على النفوذ بين ولاة الشام وولاة صيدا حول بسط السيطرة على القدس لأهميتها الدينية والتاريخية والذي جعلها محط الأطماع ، لكن الصراع انتهى لصالح ولاة صيدا من محمد علي باشا في المنطقة [6].

كما كان هناك تنافس بين عبد الله باشا ومحمد علي باشا والذي انتهى بدخول الإدارة المصرية للمنطقة ، وكذلك تعيين سليمان باشا واليا على صيدا وحاكم على عكا ثم سناجق أخرى (1809- والتي أصبحت تحت يده لانشغال ولاة الشام بصد هجمات الوهابيين في الجزيرة العربية وقصر فترة حكمهم

---

[1] ــ زهير غنايم ، المرجع السابق ، ص 289.

[2] ــ محمد عبد الله شلح ، المرجع السابق ، ص 253.

[3] ــ زهير غنايم ، المرجع نفسه ، ص 290.

[4] ـ قومي : مصدرها قوم ، وتعني جماعة تجمع بينهم رابطة معينة ، للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 831.

[5] ــ محمد عبد الله شلح ، المرجع نفسه ، ص ص 255 ــ259

[6] ــ صابرين صلاح الدين ، القدس بين ثورتين ــ دراسة في الأوضاع الأمنية 1825 ــ 1835 ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ، كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت ــ قلسطين ، 2015م ، ص 2.

وانشغالهم بقوافل الحج ، وقد تخلل فترة حكمه قيام ثورة الإنكشارية 1808م على إثر حرق كنيسة القيامة لكن نجحت الحملة المرسلة من طرف سليمان باشا في القبض على المتمردين وإعدام البعض منهم في تجدد الصراع مرة أخرى مع حاكم يافا وغزة ، ورغم الدعم المقدم من طرف محمد علي باشا ، إلا أن سليمان باشا استطاع القضاء عليه وهوما أدى إلى استقرار سياسي [1].

لكن بعد وفاته عادت الأمور إلى سابق عهدها بتولي عبد الله باشا الذي كان قاسيا في تعامله مع الحكام والأهالي ، والذي سمح لمحمد علي باستغلال الفرصة للتدخل في بلاد الشام من خلال التماس لزيادة نفوذه سياسيا وعسكريا ، ونظرا لإلحاح محمد علي باشا في دفع الأموال المطلوبة من عبد الله باشا ، وفرض ضرائب باهضة والقسوة أدى إلى قيام السكان بتمرد زاد من نقمة الأهالي [2].

وفي ظل هذه الظروف برزت مطامع محمد علي باشا في التوسع على حساب الدولة العثمانية على بلاد الشام خاصة بعد تدمير أسطوله في معركة نفارين 1827م أثناء إخماده لثورة اليونان 1823م أثرت على علاقة الدولة العثمانية بالنصارى بشكل خاص في القدس وزيادة الضغوط عليهم ، وانتشار والفتنة بين الطوائف الدينية والإنقسام بينهم باختلاف المصالح والذي ظهر في ثورة القدس 1825م[3] .

كما قامت ثورة عام 1824م بسبب رفض المقدسيين دفع الضرائب التي طلبها الجباة بأمر الوالي مصطفى باشا الذي عرف بشدة ظلمه ، فطردوا من منازلهم ، ولم يستطع قمع هذه الثورة لأنه كان هناك ستين جنديا فقط ، ليتم إرسال خمسة ألاف جندي وعلى رأسهم مصطفى باشا وقمع الثورة وتحصيل جميع الأموال المتأخرة وبعد عودته إلى دمشق استأنفت الثورة سنة1825م [4] .

وعليه استغل محمد علي الأوضاع التي مرت بها الدولة العثمانية لتجهيز حملة حيث لقي يد العون شيوخ نابلس في حملته متطلعين إلى تخليصهم من الضرائب وقد تمكن من الوصول إلى كوتاهية 1831م والسيطرة على دمشق ، لكن الدول الأوروبية عقدت اتفاقية عام 1831م لمنعه من دخول الأستانة ومنحه ولاية مصر وضرورة انسحابه من منطقة الأناضول[5].

---

[1] ــ صابرين صلاح الدين ، المرجع السابق، ص ص 2ــ 6.

[2] ــ نفسه ، ص ص 9 ــ، 11.

[3] ــ إلياس شوفاني ، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجرالتاريخ حتى سنة 1949م)، ط1 ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1996م ، ص 161.

[4] ــ عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، المرجع السابق ، ص ص 108ــ109.

[5] ــ صابرين صلاح الدين ، المرجع نفسه ، ص 34.

ثم قيام ثورة 1834م بسبب إلغاء الإمتيازات التي تمتعت بها الزعامات المحلية في عهد الإقطاع الأهالي على تسليم الأسلحة الغير مرخصة كالسيوف والمسدسات ،وفرض التجنيد الإجباري[1] على الشبان القادرين مع غياب نظام معين له وعدم تحديد فترة له [2].

دون أن ننسى نشوب صراعات داخلية بعد الحكم المصري ،وانتهاك اليهود لحرمة المقدسات على المسجد الأقصى المبارك لأول مرة بسبب إلغاء الفوارق الدينية وإعلان المساواة بين كافة الطوائف والأجناس ومنحهم امتيازات واسعة طمعا في استقطاب الدول الأوروبية [3]، ليس هذا فقط بل غاب العدل والأمن وظهرت السرقة وانتشرت العصابات وقطاع الطرق والقتل وارتفاع حالات التعدي على المواريث والأوقاف والخلافات بين السكان وكذلك استخدام كافة الوسائل القمعية لوقف الثورات وتأديب السكان

كما عرفت فلسطين ثورات وفتن أخرى والتي تمثلت في :

أ ـ ثورة الإنكشارية :

لقد ثار الإنكشارية نتيجة احتراق كنيسة القيامة بالقدس سنة 1808م باتهام الأرمن بحرقها لتعميرها من طرف الروم بعد حصولهم على رخصة من السلطات التركية ، حيث قيل أن الأرمن هم من حرضوا الإنكشارية على الثورة ، محاصرين المتسلم مصطفى آغا تيزيني 1819م في دارالحكومة وطلبوا منه تولي حماية القلعة بدلا من جنود الوزير من الشام ومطالبين بإيقاف الروم ومنعهم من الاستمرار في عمارة الكنيسة ، ثم اجتمع المتسلم مع الثائرين مبديا رغبته في قبول طلبهم [5].

لكنه قبل مايتعلق بأمر الحامية فقط ورفض مطلب التعمير فتوجهوا إلى الكنيسة قصد قتل العمال البناء الجديد ، ثم توجهوا إلى دير الروم وقاموا بنهبه وسجن الرهبان في مخادعهم ، لكن رأس الفتنة افركيوس) كان قد اختفى ، وفي هذا الوقت وصل المتسلم إلى الشام لإخبار يوسف باشا بما جرى ليهيأ من الجند المغاربة حيث لقي قبولا وترحيبا من طرف السكان ، فوقع الثوار في الفخ وتم إلقاء القبض على

---

[1] ــ التجنيد الإجباري : وهو إدراج الاشخاص في الخدمة العسكرية الإجبارية (القوات المسلحة) ،وهو غير الخدمةالعسكرية تبنته العديد من الدول ،للمزيد أنظر: علي مولا ، المرجع السابق ، مج2 ،ص 930.

[2] ــ تيسير جبارة وآخرون ، تاريخ القدس ، د.ط ، جامعة القدس المفتوحة ، عمان ــ الأردن ، 2009ــ2010م ، ص 218.

[3] ــ صابرين صلاح الدين ، المرجع السابق ، ص ص 123ــ 124.

[4] ــ موسى سرور ،سجلات محكمة القدس الشرعية إشكاليات منهجية ، أوراق عائلية دراسات في التاريخ المعاصر لفلسطين ،ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، رام الله ، 2009م ،ص 39.

[5] ــ عارف العارف ، المفصل ، المرجع السابق ، 356.

عثر عليه ومنهم من هرب إلى دير الأرمن ودير حبس المسيح ، وهدد المتسلم بهدم ديرهم إذا لم يستسلموا وبذلك جعل الثوار يستسلمون وتم أخذهم إلى القلعة لتعذيبهم [1].

ب ـ فتنة 1821م والثورة ضد الروم :

في هذه الفترة كانت القدس تابعة لوالي الشام درويش باشا والذي تزامن مع إعلان اليونان الثورة الأتراك للحصول على استقلالهم ، فأرسل السلطان محمود الثاني تحذيرا إلى الأهالي بضرورة أن يكونوا متيقضين وألا يصدقوا الإشاعات الصادرة عن النصارى وخاصة الروم ، وبذلك قام درويش باشا بمصادرة أسلحة النصارى وفي الوقت الذي كان عليه أن يقضي على الفوضى زاد من انتشارها بسبب فرض ضريبة باهضة على المسيحين [2].

كما زاد من تعقيد الأمور انتشار شائعة تقتضي بأنه من حق الناس شنق أي مسيحي لكن متسلم القدس قام بإصدار أمر قائم على عدم إجازة قتل أي انسان قبل محاكمته والحصول على أمر خطي بموافقة الوالي ، وسعي أفندية القدس وأعيانها المسلمين لتهدئة الشعب الهائج لتعمود الأمور إلى مجاريها [3].

ج ـ فتنة 1823م :

قامت على يد سليمان أفندي بعد فشله في إنجاح الفتنة السابقة ، بجمع ضرائب أكثر مما كان مع ضرب وإهانة من يتوانى في دفعها والقائهم في السجن ، وفيما كان سكان القدس يفكرون في حل هذا المأزق ، وصلت إحدى عشرة سفينة يونانية إلى شواطئها متهما النصارى بالإتفاق مع الأجانب قصد احتلال القدس ، فحاول الأتراك سجنهم لكنهم توانوا عن ذلك نظرا لإقلاع السفن [4].

د ـ ثورة الخليل ونابلس :

لقد قامت ثورة الخليل على يد عبد الرحمن عمرو باعتماده على صديقه سرعسكر الشام محمد باشا الذي استولى على الخليل عنوة 1874م ، وعند عجزه على تسكين الثورة دعا قناصل الدول الأوروبية لاستشارتهم مقترحين الإعتراف بسلطة عبد الرحمن عمرو مقابل دفع إتاوة للسلطان كل عام [5].

---

[1] ــ عارف العارف ، المفصل ،المرجع السابق ، ص 357.

[2] ــ نفسه، ص 353.

[3] ــ نفسه ، ص 387

[4] ــ نفسه ، ص 359.

[5] ــ نفسه ، ص 362.

وفيما كانت الثورة في جبل الخليل ، قامت ثورة في نابلس بسبب إرسال تركيا متسلما تركيا الإدارة من ابن طوقان ، لكنه عصاه وأبى الإمتثال للأوامر ، فاشتعلت الثورة وأحرق الاخضر واليابس في حين يرجعها البعض الآخر إلى الإنتقام من آل عبد الهادي الذين ناصروا الحكم المصري في عهد ابراهيم باشا[1] .

ه ـ الإختلافات الدينية :

ظهرت الخلافات بين الطوائف المختلفة حول الأماكن المقدسة منذ الأزل ، وذلك عندما وضع الإكليروس اليوناني يده على الوظائف الدينية كلها بعد استيلاء جيرمانوس اليوناني على كرسي البطريريكية الأورشليمية 1541م[2] .

وكذلك مطالبة اللاتين بحقوقهم فيها وهكذا امتد الخلاف إلى يومنا هذا بين المسيحين والإكليروس اليوناني من جهة ، وبين الروم واللاتين من جهة أخرى ، ثم الأرمن بمهاجمة كل طرف للآخر لأتفه الأسباب[3].

وحوادث عام 1810م حيث ثارالأرمن وهاجموا الروم ودخلوا الكنيسة مسلحين ، فقتلوا أحد وجرحوا اثنين منهم كما قاموا بتحطيم كل ماوقع على أيديهم[4] .

بالإضافة إلى حوادث 1831م بسبب مشاجرة عنيفة بين الروم واللاتين وحوادث بين الأرمن والروم سنة 1833م ، الراجعة إلى محاولة الأرمن استبدال الحجارة إلى أن أمر القاضي بإرجاع الحجر الأصلي إلى مكانه [5]

وفي الأخير حوادث 1893م الذي راح ضحيتها راهب وجرح ثلاثة آخرون من الرهبان اللاتين سنة 1901م داخل الكنيسة ، وبالتالي لم تعرف فلسطين الراحة إلا في أيام قليلة بسبب قدسية أماكنها [6].

المطلب الثالث : الأوضاع الصحية .

عرفت فلسطين العديد من الأمراض والأوبئة والمتمثلة في :

---

[1] ـــ عمرالصالح البرغوثي ، تاريخ فلسطين ، د.ط ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ـــ الظاهر ، د.ت.ن ، ص 232.

[2] ـــ نفسه ، ص 363.

[3] ـــ عارف العارف ، المفصل ،المرجع السابق ،ص 363.

[4] ـــ نفسه ، ص 363

[5] ـــ نفسه ، ص 364.

[6] ـــ نفسه ، ص 364.

أ ـ الفالج :

هو مرض عصبي ، كما يعد جرحا يصيب الدماغ ويتسبب في توقف النطق والحركة في إحدى جوانب الدماغ ، وشلل في الجانب الآخر نتيجة لضربة تقع عليه أو برد شديد يصيبه [1].

ب ـ داء البواسير :

وهو مرض يسبب ورما في المقعدة ويحدث تضخما في الأوردة الداخلية والخارجية للمستقيم [2] بالإضافة إلى الأمراض التي تصيب الجهاز التنفسي والتي تعمل على رفع حرارة الجسم ومنها الحمى المحرقة وحمى الربيع ، وأنواع أخرى كمرض ذات الجنب والذي يعتبر ألما شديدا مصحوبا بسعال[3] ، والبرسام يعد كالتهاب للحاجز بين الكبد والقلب [4]، أما بالنسبة للأمراض العصبية فهي متعددة ومنها :

ج ـ الماليخوليا :

الذي يسبب تشوشا في الفكر وهو يصيب فئة الرجال ومن بين أعراضه مرض العارض السوداوي ويعرف كذلك بأنه نوع من الإكتئاب الذي يصاحبه مرض في الطحال ، كما يعد من أنواع الصرع أو الجنون[5].

أضف إلى ذلك الأمراض المعوية كالإسهال والقولون وأمراض العيون التي تعتبر من أخطر الأمراض لأنها قد تؤدي إلى فقدان البصر ومن أشهرها :

د ـ رمد العيون :

وهو التهاب في الغشاء الذي يبطن الجفون نتيجة ماتخلفه صناعة الصابون ، والذي يؤدي إلى حكة شديدة واحمرار في العين[6] ،أيضا أمراض المفاصل التي تظهر بسبب السمنة أو النحافة ، والتي تؤدي إلى

---

[1] ــ ميرفت عوض عبد الله أبو عواد ، المرجع السابق ، ص 164 .

[2] ــ نفسه ، ص 151.

[3] ــ نفسه ، ص ص 151 ــ 152.

[4] ــ نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي الغزي 1061هـــ /1651م ، لطف السمر وقطف الثمر ، ج2 ، د.ط ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ــ سوريا ، د.ت .ن، ص 479.

[5] ــ أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي ، الحاوي في الطب ، ط1 ، مج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ، 1421هـ/ 2000م ، ص 38 .

[6] ــ نفسه ، ص 179.

الحركة والروماتيزم الذي يسبب انتفاخا في مفاصل القدم و نجده خاصة عند كبارالسن[1] ، أما الأمراض فقد عرفت :

ه ـ الجدري :

وهو عبارة عن حمى معدية ناشئة عن سم يدخل سائر الجسد وهو من الأمراض الموسمية بحيث إذا أصاب الإنسان مرة لا يصيبه مرة أخرى[2] .

و ـ البرص والجذام :

يكون في شكل حبوب سوداء تنتشر في الجسم كله حيث يؤدي بحياة العديد من السكان وهو بالسل[3] ، ليس هذا فقط بل انتشرت أمراض أخرى كالكوليرا ، والتفوئيد و الهواء الأصفر ، الحصبة [4].

وقد زاد من انتشار الأمراض والأوبئة هو ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، وسوء التغذية والجوع والفقر وظهور التسول وتردي الآداب العامة وفساد الجو الذي أدى إلى انتشار الميكروبات [5]، بالإضافة إلى نقص الأمطار وانعدام شبكات تصريف المياه ، واعتماد السكان على صهاريج من مواد غير آمنة ، وغياب الوعي الصحي باستخدام السكان لأساليب الطب الشعبي كاستخدام الترياق لدفع السموم وماء الجرجير لإزالة آثار الجروح ومعجون الكمون والورد للحمى وقطع النزيف بالزيت والسمن المغلي ، واستعمال ألواح خشبية للكسور والكحل للعين والبابونج للسعال وغيرها بدلا من مراجعة الأطباء ، وكذلك نقص الرعاية الطبية ووسائل الوقاية [6]. وبالرغم من اهتمام الدولة العثمانية بالصحة بتطبيق نظام للحجر الصحي التي أسمته فيما بالكارانتينا حيث نشر أول نظام يتعلق بالصحة سنة 1871م ، والذي أوجب تعيين طبيب ومعاون له في الكبرى ومعاينة المريض مرتين في الأسبوع مجانا والحصول على راتبه من طرف الإدارة البلدية [7].

---

[1] ــ ميرفت عوض عبد الله ، المرجع السابق ، ص 154.

[2] ــ نفسه ، ص ص 154 ــ 155

[3] ــ نفسه ، ص 155.

[4] ــ تيسير جبارة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 234.

[5] ــ ولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق ، ص ص 80 ــ 81. ،عمر الصالح البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 253

[6] ــ إبراهيم محمد عبد اللطيف نعمة الله ، الرملة في أواخر العهد العثماني 1281ــ 1333هـ/1864ــ1914م ،مذكرة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة ــ فلسطين ، 1425هـ/ 2004م ، ص ص 195ــ 197.

[7] ــ نفسه ، ص 191.

وقد طبق العزل الصحي في حالة الأمراض المعدية ووجود صيدليتين الأولى لأنطوني بن حنا الحلبي (حلبي إخوان) وأخرى لجاك أصطفان تحتوي على أدوية ومستحضرات للزينة [1].

كما وجدت العديد من المستشفيات منها المحلي ومنها ماهو أجنبي :

1* المستشفى البلدي :

مجهز بغرفة عمليات وصيدلية استخدم من طرف الحكومة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى الأمراض المعدية[2] .

2* مستشفى العيون :

والذي كان يقدم خدمات مجانية لكافة المرضى المحيطين بفلسطين غير أنه مع 1914م تحول إلى للذخائر [3]

3* المستشفى الالماني :

بني سنة 1894م في حي الشيخ عكاشة قرب باب العامود لكنه تحول إلى مستشفى عسكري بعد الإحتلال البريطاني[4] .

4* المستشفى الروسي :

لقد بني سنة 1859م ، ويقع قبالة باب الخليل لخدمة الحجاج الروس القادمين إلى المدينة ، ثم بريطانيا سنة 1918م كمستشفى خاص لموظفيها ، ثم إلى مستشفى حكومي [5].

5* مستشفى روتشليد :

وهو مستشفى خاص باليهود بني سنة 1854م ، ثم تم إرسال بعثة طبية إلى فلسطين لتأمين الصحية لهم ، بالإضافة إلى العديد من المرافق الصحية الأخرى ، كما وجدت بيماريستانات كان فيها قسم لجراحة العيون وقسم آخر للعمليات الجراحية ، وقاعة لعزل المجانين وضعاف العقول ، وكذلك قاعة لحفظ

---

[1] ـــولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق ، ص 79

[2] ـــ نفسه، ص 77.

[3] ـــ نفسه ، ص 78.

[4] ـــ تيسير جبارة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 235

[5] ـــ نفسه ، ص 235.

الأدوية والعقاقير وصيديلية متنقلة تقوم بالعديد من الجولات المجانية ، مع استفادة العرب من خدمات هذه المستشفيات [1].

ومن بين الأطباء حسان أبو السعود ، يوسف شارة مانويل ، توفيق بشارة كنعان[2] .

إلا أن سوء تصرف الدولة العثمانية بدخولها الحرب العالمية الأولى زاد من تفاقم وتدهور الوضع الصحي ، حيث ساهم تنقل الجيش في انتشار الأمراض المعدية والأوبئة ، فانتشر التيفوس ، الجدري ، الكوليرا والملاريا بين مختلف المواطنين والطبقات ، رغم اتخاذ التدابير وصدور بعض الأوامر من جمال بضرورة جلوس الجنود في بيوتهم لكي لا يصابوا بالأمراض ، ورمي النفايات في سلة المهملات ، وتغطيتها وكذلك غسل الأيدي بالماء والصابون جيدا ، لكن الأمراض فتكت بالسكان خاصة وأنها تزامنت مع حيث توفي مايقارب نصف سكان القدس [3].

المطلب الرابع : المجتمع الفلسطيني خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918).

أخذت فلسطين نصيبها من الحرب العالمية الأولى كبقية الايالات العثمانية الاخرى ، فالدولة أثقلت كاهل الناس بمصادرة كل مايقع تحت أيديهم من محاصيل وأثاث وأراضي[4] ، كما دبت الخلافات والنزاعات بين الطوائف وهو ماأدى إلى توتر العلاقات الإجتماعية نتيجة الفتن التي أوجدتها دول الصراع بريطانيا من جهة وألمانيا من جهة أخرى وذلك لخدمة مصالحها ، بينما كانت تسعى الدولة العثمانية جاهدة لعدم إثارة النعرات بين الطوائف التي كانت تشارك أعياد وأفراح وجنائز بعضها البعض ،لكن مجريات والدسائس التي زرعت بين الطوائف أثرت على العلاقات الطائفية [5].

ومازاد الطين بلة هو قدوم الجراد عام 1915م الذي أكل الأخضر واليابس وهكذا ارتفعت الأسعار ووقع الناس تحت طائلة الديون والفقر والجوع وازدادت الأوضاع سوء ا وهو ماأدى إلى تدهور أوضاع الناس في كثير من الأمور [6].

---

[1] ــ ولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق ،ص 78 .

[2] ــ نفسه ، ص 80.

[3] ــ نفسه ، ص 81ــ82.

[4] ــإلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 346.

[5] ــ ولاء حلمي شيوخي ، المرجع نفسه، ص 63.

[6] ــ نفسه ، ص 84.

حيث شهدت فلسطين عامة والقدس خاصة خلال الحرب العالمية الأولى إخلاء معظم رجالها نتيجة التجنيد الإجباري ولم يبقى فيها سوى الصغار والشيوخ والنساء والكهول ، كما قامت الحكومة العثمانية خلال هذه الحقبة 1914م ــ 1918م بمصادرة ممتلكات الناس إذ تعرض سكانها للإعتداء على أموالهم طرف الأتراك الذين كانوا بحاجة ماسة إلى الأموال لتمويل الحرب ، ليس هذا فحسب بل قام الجيش التركي المرابط في فلسطين بالإستيلاء على المخازن الغذائية في القدس والقرى المجاورة وافتحام مخزون الفلاحين القمح وباقي الحبوب ومصادرة الثروة الحيوانية من دواجن وأغنام وأبقار وحتى الحمير والبغال وهو مادفع بالجيش التركي آنذاك باستخدام الرجال بدلا عن الدواب فكانوا يحملون المتاع على ظهورهم [1].

كما عان المجتمع الفلسطيني في الفترة العثمانية المتأخرة من إقتحام الجيش التركي لبيوتهم وتصدير مخزوناتهم الغذائية اليومية ، ولكن الحرب كانت طويلة وبالتالي صار مخزون الطعام يتناقص يوما بعد يوم فقد عاش السكان حالة متردية وصعبة جدا بسبب إختفاء احتياجاتهم اليومية من الأسواق أبسطها الغذائية وإن وجدت في بعض الأحيان كان ثمنها باهضا وبذلك لم يتمكن أغلب الناس من شراء قوت يومهم [2].

وفي سنة 1915م غزا الجراد فلسطين وأكل الاخضر واليابس ولم يكن هناك وسائل مكافحة للحد من تكاثره مما جعل الناس ينزلون إلى الحقول للقضاء عليه ، وكانوا يحملون التنك من أجل تطييره من على الثمار لكن دون جدوى وهو ماأدى إلى ارتفاع أسعارالخضر والفواكه إرتفاعا باهضا لم تشهد القدس مثله خلال السنوات الفائتة[3] .

أصدرت الحكومة العثمانية فرامانا يأمر بذهاب السكان الذين يتراوح سنهم بين 15و60سنة لجمع 20 كيلو من بيض الجراد إضافة إلى فرض ضريبة الجراد على الناس الممتنعين على تطبيق الفرمان ، ولهذا الأهالي لايتجولون في الشوارع لأن البوليس أصبح يأخذ كل من يجده في الطريق لإهلاك الجراد وكانت الضريبة المفروضة على الأغنياء الممتنعين ليرة عثمانية وعلى متوسطي الحال 60 غرش وعلى الفقراء .

وبهذا تسبب الجراد في القضاء على مزروعات البلاد بأنواعها خاصة الصيفية منها ، وأتلف الخضراوات والفواكه والثمار الأخرى وبذلك لم يبقى للناس مايأكلونه فكان أحد العوامل المتسببة في انتشار

---

[1] ــ ولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق، ص 82.

[2] ــ نفسه ، ص 83.

[3] ــ نفسه ، ص 84.

[4] ــ نفسه ، ص 84.

الفقر و الجوع إلى جانب الحرب ، ونتيجة الفقر والجوع الذي طرأ على المجتمع خلال هذه الفترة أدى حدوث تغيير في القيم الإجتماعية حيث تم استحداث أنماط سلوكية جديدة فقد تعرضت مئات الألاف من العائلات إلى الفقر المدقع ، والجوع والمرض نتيجة غياب أعداد كبيرة من الرجال والشباب عن عائلاتهم التجنيد الإجباري والموت في جبهات القتال وبالتالي شهدت المدن الفلسطينية أنماط سلوكية لم تشهدها قبل مثل التسول والسرقة والدعارة التي أصبحت معالم يومية في شوارع القدس [1].

حيث صورت الكتب التاريخية مشاهد للقدس من خلال لجوء النساء والأطفال للطوابير وإقتتالهم رغيف الخبز وهو ماأكد على انتشار المجاعة في فلسطين ،كل هذه المظاهر كانت نتاجا للحرب التي أدت تفكيك العائلات المقدسية وسببا في خلق جيوشا من المتسولين في الطرقات وانتشار السارقون فقط من إيجاد شيء لسد جوعهم [2].

ومع الوقت أصبح هذه الظواهر الإجتماعية عادية في القدس ليس هذا فحسب بل أن النساء العفيفات قد اضطرت إلى بيع أعراضهن بسبب الجوع والفقر وارتفاع الأسعار ، وحتى من كان يملك المال فإنه كان يعني كذلك من توفير حاجياته اليومية نتيجة القحط الذي تعرضت له فلسطين وقيام جمال باشا بمصادرة والحنطة ، والإفتقار للمواد الغذائية التي أصبحت هاجس الناس ماجعل الناس لكثرة الفقر والجوع في أغانيهم الشعبية الأطباق الشهية التي خلت من حياتهم ، حيث انتشرت أنشودة شهيرة أنذاك عرفت المجاعة وقد أصبحت هذه الأغنية تؤدى في الإحتفالات وكان لها تاثير سحري في خيال المجتمع فقد بدأ ينشدونها في الشارع حتى أصبحت تشبه النشيد الوطني لعدة أعوام بعد الحرب [3].

لكن كان هناك في القدس تكية خاصكي سلطان ساعدت في تأمين بعض إحتياجات السكان تقدم شوربة القمح ومن ثم أصبح أصبح فقراء القدس يترددون يوميا عليها ولم يكن هناك فرق في التقديم بين العائلات المسلمة والمسيحية ، ومن المظاهر الأخرى نجد حتى أبناء الأغنياء كانوا يقفون في طابور التكية نصيبهم من الشوربة كبقية أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة لذلك نقول أن الجوع في القدس خلال الحرب الأولى لم يفرق بين طبقات المجتمع وأصبحت عائلات عديدة لا تأكل سوى ماتوزعه التكية التي كانت بالمجان يوميا.ومنذ سنة 1915م تقلص توزيع الحصص إلى مرة كل يومين ، وفي سنة 1917م أصبحت مرتين في الاسبوع وعليه كانت التكية تعطي الناس طعاما يبقيهم أحياء فقط ولايسد كل جوعهم ، وبالتالي

[1] ــ سليم تيماري ، عام الجراد مذكرات جندي مقدسي في الحرب العظمى ، حوليات القدس ، ع 5 ، 2007م ، ص ص 62ــ63.

[2] ــ نفسه ، ص 63 .

[3] ــولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق ، ص 74.

نجد أن الناس أصبحوا أقرب إلى البساطة في لباسهم ومعيشتهم ، إذ لايمر يوم إلا واستحكمت حلقات على القدس وأهاليها [1].

وفي الأخير يمكن القول بأن فلسطين في الفترة العثمانية المتاخرة خاصة خلال صدورالتنظيمات حدث تحسن في الأوضاع التعليمية والصحية ، لكن مع إندلاع الحرب العظمى شهدت معاناة وألام وإجراءات ظالمة من قبل الدولة العثمانية ، كانت دليل على قمة الضعف والعجز الذي أصاب الدولة العثمانية وهو ماأدى بطبيعة الحال بسكان فلسطين كبقية سكان الايالات العثمانية الأخرى حمل الحقد والكراهية اتجاه الدولة العثمانية .

[1]ــ ولاء حلمي شيوخي ، المرجع السابق، ص ص 86ــ87.

المبحث الثالث : القدس في الصراع الدولي .

المطلب الأول :الصراع العثماني المصري على فلسطين .

المطلب الثاني :النفوذ الأجنبي في فلسطين .

المطلب الثالث :النشاط الصهيوني والإستيطان في القدس .

المبحث الثالث : القدس في الصراع الدولي وأثره على المجتمع .

ظهر الصراع المصري العثماني في ظل ضعف الدولة العثمانية ، والذي شكل خطرا على كيانها ، كما كان له إرتباطا مباشرا بظهور المسألة الشرقية ، وزيادة تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، والذي تحقق عن طريق الإمتيازات وافتتاح القنصليات وتشجيع البعثات التبشيرية ، والتي كان لها الأثر المباشر في ظهور المشروع الصهيوني ومحاولة إقامة وطن قومي لهم بفلسطين .

المطلب الأول : الصراع العثماني المصري على فلسطين .

بعد انسحاب نابليون من بلاد الشام عاد الجزار وفرض سلطته على البلاد لكنه مالبث أن مات سنة 1804م ، وخلفه مملوكه سليمان باشا 1804م /1819م ، والذي تزامن حكمه مع ظهور مصلحين ألا وهما محمدعلي باشا بمصر ، والسلطان محمود الثاني باستانبول ، بحيث حاول محاكتهما إلا أنه في الفترة زاد تهديد الوهابيين لبلاد الشام ، فنشبت العديد من الإنتفاضات في أنحاء فلسطين .[1]

وعندما كان السلطان محمود الثاني[2] مشغولا بنتظيم شؤون الولايات التركية الأكثر أهمية في بلاد الروميلي وآسيا الصغرى ، زاد التنافس بين والي دمشق وصيدا وتدخل محمد علي في بلاد الشام خاصة بعد صد الخطرالوهابي ، كما انتهز الزعماء المحلييون في فلسطين في جبل نابلس وجنين والقدس والخليل للإنفصال من سلطة والي دمشق حيث كانت هذه المناطق تابعة له فاندلع الصراع بين هؤلاء ، ليتدخل سليمان باشا لفض الصراع سنة 1815م ، وهو الأمر الذي عزز مكانته ورفع من شأنه في استانبول ، ومن بين الأعمال التي قام بها هي ترميم أسوارعكا وإقامة سبيل عند بوابتها ، وكذلك ترميم قبة الصخرة الأقصى بالقدس ، وإقامة جامع بالناصرة .[3]

وبعد موت سليمان باشا خلفه عبد الله باشا 1831/1819م الذي عاد إلى سياسة الجزارالقاسية الأمرالذي جعل الزعماء المحليين يثورون من جديد ، حيث قامت الدولة العثمانية بتعيينه حاكما على ألوية جنين ونابلس والقدس ، وبالتالي أصبح عبد الله باشا مصيطرا على جميع أنحاء فلسطين ، وهو ماجعل العلاقة

---

[1] إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 258.

[2] محمود الثاني: ولد عام 1785م ، ابن عبد الحميد الأول ، بدأحكمه خلال ق 19م عصر الإصلاحات ، اتخذ عدة إجراءات من أجل مواجهة انحطاط الدولة العثمانية من خلال تحديث الجيش ، وتغيير التجنيد ، وتأسيس عدة فرق مدربة على الطريقة الأوروبية ، كما قام بتعديل اللباس ، وتقوية السلطة المركزية ، بإعادة تنظيم الإدارة وغيرها .للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 108ـ110.

[3] إلياس شوفاني ، المرجع نفسه ، ص 285.

تسوء بينه وبين محمد علي نظرا لزيادة اهتمام هذا الأخير ببلاد الشام خاصة بعد نحاح حملته على الوهابيين الحجاز سنة 1813م ، وعقب تحطم أسطوله في معركة نفارينو 1827م وتدخله المستمر في شؤون ولاية صيدا ، وكذلك تهريب عبد الله باشا للقمح من مصر بطريقة غير قانونية عن طريق غزة في الوقت الذي أصاب القحط صيدا وغزة والرملة ويافا 1827م ، ورفض الحكومة العثمانية منحه بالد الشام بعد أن وعدته بها .[2]

ولهذا سارع عبد الله باشا لأخذ مجموعة من الإحتياطات ونظرا لمخاوف السلطان العثماني من عناصر داعمة للحكم المصري إلى المناطق التابعة إلى الدولة العثمانية تم إرسال فرمانات إلى كل الأيالات لمنع دخول أي شخص دون تذكرة سفر تبين وجهة الفرد ويجب أن تكون مختومة وكذلك منع خروج أي شخص دون تذكرة مختومة من محكمة القدس الشرعية والذي شمل كل الرعايا والعساكر

كما قد حاول عبد الله باشا كسب ود السكان وخصوصا الطوائف النصرانية (الأرمن) حيث قام بإصدار فرمان سنة 1831م لإلغاء الرسوم الإضافية ، وكذلك التقرب من طائفة الروم بمنع التعديات على رهبانهم ، دون أن ننسى استمالة العلماء المسلمين الذي سارع إلى توطيد العلاقة مع والي جبل لبنان بإرسال الهدايا له لإظهار المودة والمحبة ، للوقوف إلى جانبه في حالة عزم محمد علي على الهجوم[4] حيث دخل هذا الأخير مرحلة الصراع المفتوح مع السلطان مستغلا قيام الزعماء المحليين بالعديد من التمردات لزيادة نفوذهم خاصة وأن السلطان كان مشغول بتصفية الإنكشارية ، وعدم الإستقرار السياسي والضعف العسكري وتحطم الأسطول وهزمائها المتكررة ، وكذلك سخط بلاد الشام على الدولة العثمانية وولاتها وقيام ثورات عدة هي التي جعلت الشيوخ يقدمون يد العون لإبراهيم باشا للتخلص من عبد الله باشا وما فرضه من ضرائب .[5]

---

[1] الوهابيين : أو الوهابية ، وهي مصطلح أطلق على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي واحدة من حركات اليقضة العربية المناوئة للحكم العثماني ، تناقضت معهم فكريا لإغراقهم في البدع والخرافات ، واصطدمت بهم لسيطرتهم على مقدرات العالم العربي ، كما دارت بينهم حرب استعان فيها السلطان العثماني بوالي مصر محمد علي للقضاء عليهم ، للمزيد أنظر : عبد الوهاب الكيالي ، المرجع نفسه ، ج7، بيروت، 1994، ص 357.

[2] إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص259.

[3] صابرين صلاح الدين ، المرجع السابق ، ص 25.

[4] نفسه ، ص 26.

[5] نفسه ، ص 27.

بالإضافة إلى تحكم آل أبي غوش في الطريق بين نابلس والقدس وغزة وفرض ضرائب أثقلت كاهل التجار .[1]

وبهذا وجد محمد علي الفرصة السانحة لتوجيه حملة على بلاد الشام باتخاذه من حادثة هروب ستة ألاف مصري من فلاحي الشرقية إلى القدس ونابلس وغزة بسبب الضرائب ذريعة لإحتلال بلاد الشام ، حيث طلب محمدعلي من عبد الله باشا تسليم الفارين ، إلا أنه رفض باعتبارهم رعايا عثمانيين [2].

ليقوم بتوجيه حملة في 1831م بقيادة ابنه إبراهيم باشا وضمها بالقوة ، وعند وصول خبر الحملة قام عبد الله باشا بحث أهالي القدس إلى الوقوف إلى جانبه وصد قوات محمد علي ، لكن موقف سكان القدس من الحملة المصرية تباين بين معارض كمحمد شاهين متسلم القدس ومؤيد كأبو غوش ،لكنه سرعان ماتوترت العلاقة بينه و بين سكان الريف [3].

انطلق ابراهيم باشا بحملته بحرا إلى مدينة حيفا 1831م واتخذها مقرا له ومستودعا للمؤن و الذخائر،ثم توجه إلى عكا وحاصرها برا وبحرا ، واستطاع إخضاع كل من غزة والرملة ويافا والقدس دون مقاومة ، فأرسل السلطان محمود الثاني وراء محمد علي عثمان باشا لمحاربته لمنعه إلا أن محمد علي هزمه حمص وعاد لحصار عكا مرة أخرى لمدة 7أشهر حتى أجبر عبد الله باشا على طلب الأمان و الإستسلام إبراهيم باشا .[4]

وأهم ما قام به عند دخوله بلاد الشام وخاصة فلسطين التي مكانا للحروب والفتن بيما فيها القدس ، عمل على إصلاح البلاد وتطورالعمران والتخلص من أصحاب الفساد ، مما مكنه من فرض سيطرته على بلاد الشام وخاصة القدس ، والتي شهدت نقطة تحول خلال فترة حكمه ، كما شملت إصلاحاته تشجيع التجارة وتعديل نظام الضرائب ، وإصدار مرسوم إلى حكام نابلس والقدس للتسامح مع أهل الذمة وعدم أخذ الضرائب .[5]

---

[1] ـ لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام 1831ـ1841م ، ط2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1410 هـ/1990م ، ص 36.

[2] ـ نفسه ، ص 30.

[3] ـ صابرين صلاح الدين ، المرجع السابق ، ص ص 31ـ32.

[4] ـ نفسه ، ص 32ـ33.

[5] ـ نفسه ، ص ص 35ـ36.

وزاد اهتمامه ببلاد الشام لأنها تشكل مصدرا هاما للأخشاب باستغلال غابات الأرز لإعادة بناء الأسطول المصري ،والفحم الحجري والنحاس،وهي مواد كان محمد علي في أمس الحاجة إليها من أجل مشاريعه الصناعية لبناء دولته في مصر [1]، وكذلك الإستفادة من رجالها ذوي القوة للتخفيف عن الفلاح المصري من التجنيد الإجباري[2] ، ليس هذا فقط بل حتى الأهمية الدينية لبلاد الشام كونها تضم القدس الشريف [3].

لكن هذا الإستقرار الأمني لم يدم طويلا بين إبراهيم باشا وسكان فلسطين حيث توالت الثورات على الحكم المصري كآل سمحان وآل عمرو وأبو غوش ، وعليه قامت ثورة سنة 1834م للتخلص من الحكم المصري .[4]

بالإضافة إلى وصول جيشه إلى مدينة كوتاهية وأسره لقائد الجيش العثماني رشيد باشا وكادت الأستانة تسقط وهو ماجعله يقف على المحك .

لتسارع الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا لإيقافه حيث رأت أن مشروع محمد علي يتناقض مع مصالح الدول الإستعمارية .

ففرنسا كانت تحاول إغراءه بالتوجه إلى المغرب بدلا عن الشام لأن ذلك لايغضب السلطان ولا الدول الأوروبية مستخدمة علاقاتها الودية لإقناعه بتسوية الخلاف بينه وبين السلطان مع تأييده والإلحاح إعطاءه مصر وسوريا وأدنه محاولة منها لمد نفوذها ومواجه النفوذ البريطاني [5].

أما بريطانيا فقد رفضت بإصرار أي سياسة أو خطة تؤدي إلى دعم نفوذ فرنسا في أملاك الدولة العثمانية ، لذلك عملت بريطانيا على إثارة القلاقل ضد حكم محمد علي في بلاد الشام ن وعلى وجه الخصوص فلسطين ، وتحريض السلطان على محاربته مظهرة أنها تسعى للحد من أطماع محمد علي و لإمتداد النفوذ الروسي لهذه المنطقة ، خاصة وأن روسيا تدخلت لتقف في وجه مطامع علي والتي رأت من

---

[1] صابرين صلاح الدين ، المرجع السابق، ص 24. إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 262.

[2] سليمان أبو عز الدين ، إبراهيم باشا في سوريا ، د.ط ، المطبعة العلمية ليوسف صادر ، بيروت ، 1929م ، ص 52.

[3] لطيفة محمد سالم ، المرجع السابق ، ص 22.

[4] صابرين صلاح الدين ، المرجع نفسه ، ص 36.

[5] هدى علي بلال ، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830ـ1841م ، مجلة أبحاث كلية الدراسات الأساسية ، مج 10، ع 4 ، جامعة الموصل، 2011م ، ص ص 245ـ 347.

خلالها بريطانيا أن تدخلها أشد من خطر محمد علي ، في حين أن النمسا وبروسيا فقد كانتا مشغولتين بمشاكلهما الداخلية والخارجية .[1]

وكانت الدولة العثمانية لاتفتأ منذ دخول قوات محمد علي باشا على استمالة رؤساء العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان فيها إلى جانبها في سبيل إخراج محمد علي باشا من الشام،ليصبح الوجود المصري في غاية الصعوبة ، قدحاول محمد علي باشا التصالح مع الثوار بإلغاء القرارت التي أدت إلى التمرد والتوصل إلى قرار مرض مع السلطان العثماني يتم بموجبه إعطاءه ولايتي مصر و بلاد العرب لمحمد ارثا له وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته ،الا ان السلطان رفض[2].

وهو ماجعل الدول الأوروبية إلى عقد اتفاق سمي باتفاق كوتاهية 1831م والتي بمقتضاه اعترف محمود الثاني بالحكم الوراثي لمصر لمحمد علي .[3]

ثم عقد معاهدة لندن 1840م التي تم بموجبها الدول الأوروبية منع الدولة العثمانية من عقد أي مع محمد علي خاصة مع ظهور اختلاف وتنوع في مواقف الدول الأوروبية تجاه الصراع العثماني المصري عرف بالمسألة المصرية والتي اقترنت مباشرة بالمسألة الشرقية مدعية تحقيق التوازن الدولي[4]

لكن محمد علي رفض هذه المعاهدة ليتم تحرك الأسطول البريطاني والنمساوي في البحرالمتوسط والإستيلاء على بيروت ثم عكا مفتاح فلسطين والشام ويافا ونابلس ، هذا كله حتم على إبراهيم باشا ضرورة الإنسحاب من الشام وفلسطين إلى مصر وإعطاءه جزيرة كريت وتعيين إبنه واليا على أدنة .[5]

وعليه عادت بلاد الشام إلى الحكم العثماني بفضل الدول الأوروبية ، وبينما لم تترسخ إجراءات إبراهيم باشا ، لم تفلح السلطنة العثمانية في إحكام قبضتها على نواحي البلاد جميعا ، حيث عادت إلى الصراعات القبلية وتصفية الحسابات القديمة أي عودة الإضطراب في حالة الأمن .[6]

كما لم يعد الباب العالي إلى نظام البشوات وإلحاقها بالمركز مباشرة ، حيث أقيمت الإدارة على المركزية الشديدة والتتريك ، فاستبدل الموظفون المحليون بآخرون أتراك ، وفي جميع المناصب

---

[1] هدى علي بلال ، المرجع السابق ، ص ص 245ـ 347.

[2] نفسه، 352.

[3] نفسه ، ص 348 .

[4] نفسه ، ص 353.

[5] إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 264.

[6] نفسه ، ص 270.

اعتمد على نقل الموظفيين سنة بعد أخرى ، ومن مهمة إلى أخرى وإخضاعهم للرقابة والمحاسبة على سوء استعمال السلطة ،فبالرغم من استقرار الأوضاع نسبيا في الساحل والشمال إلا أنها ظلت مضطربة في منطقة الجبال الوسطى ، وقد عمد العثمانييون على جعل القدس تابعة لاستانبول مباشرة ، لمراقبة نشاط القنصليات الأجنبية والسيطرة على الوضع الأمني فيها ، وتم إلحاق سنجق نابلس وغزة بها .[1]

لكن واجهت الدولة العثمانية العديد من المشكلات في سبيل تحقيق المركزية والمتمثلة في مسارعة الزعماء المحليين لإستعادة مواقعم ، حيث تميزت مناطق فلسطين منها جبال نابلس بمقاوتها للحكم وعرفت بالصراع الدائم بين زعمائها المحليين ، وكذلك سطو القبائل البدوية على طرق التجارة ، فبعد أن كان إبراهيم باشا قد فرض سيطرته وهيبته على هاته القبائل التي استغلت هذه الأخيرة انسحابه من بلاد الشام .[2]

أضف إلى ذلك افتقاد الدولة العثمانية للقوة العسكرية اللازمة وعدم استقرار الموظفين لمواقعم وهو عرقل من تجسيد التنظيمات .[3]

ونظرا لأهمية القدس والطريق المؤدي إليها من يافا وزيادة تدخل الدول الأجنبية عبر قناصلها ، الحكومة العثمانية سنجق القدس إلى مرتبة إيالة وعينت عليها حاكما يعقوب باشا الذي استطاع اخضاعها للحكومة المركزية في القدس .[4]

وبالرغم من وجود بعض الإيجابيات في عودة الحكم العثماني إلا أن الحكومة العثمانية وقفت تماما بحيث لم تكن لديها سياسة واضحة وحازمة لفرض السيطرة والأمن على البلاد كافة حيث ظلت عامل اضطراب أمني ومصدر إزعاج .[5]

المطلب الثاني : النفوذ الأجنبي في فلسطين .

سعت مختلف الدول الأوروبية إلى بناء وتدعيم وجودها في فلسطين ، عن طريق التغلغل الديني أي بحماية الأقليات الدينية ، وتشجيع النشاطات الخيرية والثقافية التي يتولى تسييرها رعاياها ، والتي ظهرت

---

[1] ـإلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 270.

[2] ـ نفسه ، 278

[3] ـ نفسه ، 272.

[4] ـ نفسه، ص 276.

[5] ـ نفسه ، ص279.

بشكل أوضح بعد نهاية حرب القرم (1856م) ، وسيطرة محمد علي وابنه إبراهيم باشا على بلاد الشام بما فيها فلسطين ، بهدف كسب رضى الدول الأوروبية وعلى وجه الخصوص بريطانيا فيما يخص سياسته بإزالة كل أشكال التمييز ضد أتباع الطوائف الدينية الغير إسلامية ، وإعلان المساواة بين مختلف الرعايا ، والسماح لهم بفتح قنصليات في داخل البلاد وتوسيع النشاطات التبشيرية والإعتراف بها .[1]

و عليه شهدت القدس خلال ثمانينيات القرن 19م دخول المزيد من القناصل الأوروبيين ورجال الدين، لتقع فلسطين في دوامة تضارب المصالح بين الدول الأوروبية الكبرى في إطار المسألة الشرقية

أولا : انجلترا.

مع عودة الحكم العثماني إلى بلاد الشام زاد عدد قناصل الدول الأوروبية نظرا لاتساع نفوذهم في البلاد أيام الحكم المصري تحت غطاء التنظيمات ، وبما أن الدول الأروبية الكبرى لعبت دورا مهما في الإنسحاب من بلاد الشام على محمد علي ، وعلى رأسها بريطانيا زاد تدخلها في شؤون الدولة العثمانية بإصدار فرمانات التنظيمات لتحقيق مصالحها الإقتصادية والإستراتيجية نتيجة للضعف الذي دب فيها ، وسعيها إلى توسيع امتيازاتها التجارية التي بدأت في الحصول عليها منذ عهد السلطان سليمان القانوني خلال القرن 16م .[3]

فباعتبار روسيا وفرنسا الحاميتين لكل من المسيحين الأرثوذكس والكاثوليك في فلسطين والشرق ، رأت انجلترا أنه لابد من خلق محميتين ، ألا وهما اليهود والبروتستانت لتدخل عن طريقهما في فلسطين وكذلك عن طرق القناصل و السفراء لحماية اليهود في فلسطين و الذي سيجعل لها دورا موازي للدور الفرنسي والروسي في حماية المسيحيين .[5]

حيث أقامت أول قنصلية لها بالقدس عام 1838م بتوجيه جهودها إلى حماية المصالح اليهودية ورفع مستويات معيشتهم،بغرض تحويلهم إلى نصارى بروتستانت،وإتاحة الفرصة لإجراء الإتصالات مع

---

[1] ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص ص 60ـ61.

[2] نفسه ، ص 61.

[3] إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 279.

[4] ألكزاندر شولش ، المرجع نفسه ، ص 62.

[5] تيسيير موسى نافع ، الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1420 هـ/1999م ، ص 55.

الزعماء المحليين لخدمة أنشطتهم وأهدافهم المختلفة ، وإسفارها عن دخول أول قنصل بريطاني سنة ،حيث تعد هذه الخطوة الأولى للتغلغل الأوروبي المنتظم في فلسطين .[1]

بالإضافة إلى تأسيس أسقفية إنجليزية بروسية في القدس سنة1841م،وبناء كاتدرائية[2] بروتستانتية(كنيسة المسيح)والتي دشنت سنة 1849م،وتنصيب أسقف بروتستانتي نتيجة لنشاطات التبشيرية البريطانية،وحصول البروتستانت سنة 1850م على الإعتراف بهم كطائفة دينية رسمية في الدولة العثمانية ، التي أخذت على عاتقها حماية جميع اليهود في فلسطين[3]، حيث تزامن هذا مع ازدياد البعثات التبشيرية وارتكازها بالقدس وإقامتها لبعض المؤسسات التعليمية والطبية ،والخيرية والخدمات الإنسانية والتي حققت نجاحا لايقل عن نجاحها في المجال الديني .[4]

دون أن ننسى قيام انجلترا بتحريض الفئات الإجتماعية والطوائف الدينية والقومية على الحكومة المركزية ، وإثارة القلاقل ضدها في مناطق متعددة ، ودخولها على خط الصراع بين الزعماء المحليين في نابلس بين آل عبد الهادي وطوقان ، وكذلك في جبال نابلس ، ودعم المتمردين بالمال والسلاح .[5]

كما نشطت في هذه الفترة الجمعيات الأثرية التي اهتمت بالدراسات التوراتية منطوية على أغراض سياسية عسكرية ، وأول هذه المؤسسات صندوق اكتشاف فلسطين الذي تأسس على يد الإنجليز سنة 1856م للبحث في التاريخ والجغرافيا والآثار و الجيولوجيا الطبيعية لفلسطين .[6]

لإرساء قاعدة لليهود بفلسطين خاصة و أنها وجدت في مشروع الإستيطان اليهودي تطابقا مع أهدافها .[7]

ثانيا : فرنسا .

---

[1] نائلة الوعري ، المرجع السابق ، ص 105.

[2] - كاتدرائية : وهي كنيسة يرعاها أسقف ، والتي تعد مركزا لكثير من أمور الحياة المدنية ، للمزيد أنظر: علي مولا ، المرجع السابق ، ج5 ، ص 2616.

[3] ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص ص 63ـ65.

[4] إلياس شوفاني ، المرجع السابق، ص 280.

[5] نفسه ، ص 280.

[6] إلياس شوفاني، المرجع نفسه ، ص 282.

[7] تسيير موسى نافع ، المرجع السابق، ص 55.

بعد تنصيب قنصلين بريطاني وبروسي سنة 1838ـ 1842م ، وتأسيس أسقف بروتستانتي في القدس اشتدت المنافسات الدينية السياسية بين الدول الأوروبية في فلسطين ، خاصة بعد حرب القرم (1853ـ1856م) من أجل تأمين الإمتيازات الأوروبية والوجود الديني والثقافي [1] ، وباعتبار أن فرنسا من بين الدول التي أقامت علاقات صداقة مع الدولة العثمانية فقد حصلت على العديد من الإمتيازات الدينية والتجارية بمنحهم حق حماية الأماكن المقدسة والحرية الدينية ،وهو مامهدت به الطريق للتدخل في الشؤون الداخلية للقدس .[2]

حيث تلى تأسيس أسقفية بروتستانتية ، إحياء البطريركية اللاتينية بحيث دخل القدس أول بطريرك لاتيني هو يوسف فاليرجا 1843، معتبرة تعزيز وجودها الكاثوليكي في فلسطين مهمتها[3] ،كما سعت إلى تأسيس قنصليات لها في المناطق التابعة للدولة العثمانية لزيادة التدخل في شؤونها الداخلية منتهجة سياسة المبادئ العلمانية ، حيث افتتحت أول قنصلية لفرنسا سنة 1856م وتلتها كل من النمسا وإسبانيا وأمريكا[4] بعد فشلها في محاولة تأسيس وجود لها بوجه خاص في فلسطين من خلال تعيين قنصل لها سنة1621م [5] الذي لقي معارضة شديدة ليصدر الأمر بترحيله عن المدينة المقدسة ، لتقوم بمحاولة أخرى خلال فترة حكم السلطان مصطفى الأول والذي قبل لكنه لقي نفس المصير بإلغاء تعيينه نظرا للمعارضة التي لقيها .[6]

ولذا حرصت على التدخل في فلسطين من خلال الحماية الدينية وعلى التغلغل الثقافي والديني ومشكلات الأماكن المقدسة وامتلاكها وعلى قضايا فردية مثل إعادة ترميم قبة كنيسة القيامة وغيرها بهدف صد الخطر الذي تعرضت له حماية الكاثوليك في الشرق المقصورة على فرنسا من جانب ادعاءات ايطاليا وإسبانيا والنمسا ، ومع نهاية سبعينيات القرن التاسع عشر أظهرت فرنسا مجالات أخرى للتغلغل ، حيث قام القنصل الفرنسي سنة 1879م بإرسال أول تقرير حول حركة التجارة من يافا إلى باريس [7]، كما أنه بعد أشهر أسهبت القنصلية في وصف المزايا التي سيحققها تشغيل رأس المال الفرنسي في فلسطين ببناء منشآت ميناء يافا وكيف سيحقق النفوذ الفرنسي نموا،من خلال ضمان مركز جديد في البحر الأبيض المتوسط

1ـ ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص 67.

2ـ حسين أوزدمير ، المرجع السابق ، ص ص 161ـ162.

3ـ ألكزاندر شولش ، المرجع نفسه ، ص 67.

4ـ حسين أوزدمير ، المرجع نفسه ، ص 164.

5ـ نائلة الوعري ، المرجع السابق ، ص 89.

6ـ نفسه ، ص 90.

7ـ ألكزاندر شولش ، المرجع نفسه ، ص 68 .

من الناحية التجارية أو الإستراتيجية،فقد كانت ترى في وجوب إضافة التغلغل الإقتصادي إلى جانب المحمية الدينية أنه من شأنه ضمان المنصب المناسب لفرنسا ، ولهذا قامت بإرسال بعثتين سنة 1880ـ 1881م لاستطلاع الوضع ولجمع المعلومات حول الطرق الإستراتيجية و خطوط السكك الحديدية و إمكانات رأس المال .[1]

لكن بقيت سياسة حماية الأقليات الدينية هي الوسيلة الأنجع ، فرغم تعرض فرنسا حول الحماية الدينية للإهتزاز منذ بداية القرن 20م بسبب السياسة المعادية لفرنسا وقطع العلاقات الديبلوماسية مع الفاتيكان سنة 1904م نتيجة التقسيم المفروض مع إيطاليا،إلا أن مركز فرنسا في الشرق ظل غير منازع فيه بالرغم من أنها تضع سياسة محددة بفلسطين إلا أنها نشأت بصورة تامة نحو سوريا وحمايتها للكاثوليك .[2]

كما نشطت الإرساليات الفرنسية لإقامة عدد من المؤسسات في كل من القدس و يافا 1879 م وازدياد النشاط القنصلي في فلسطين مع رفع مستوى اتصالهم بالزعماء المحليين بهدف ترسيخ النفوذ في الشرق.[3]

أما فيما يخص اليهود فقد كانت داعمة لهم منذ 1880م مستغلة إياهم كأداة للتوسع الإستعماري لتكون دعما لنفوذها و سيطرتها و الإستفادة من قوتهم المالية و تشجيعم على الاستيطان بفلسطين لمواجهة النفوذالبريطاني ،[4] حيث ازدادت هجرتهم تزامنا مع النشاطات الصهيونية إذ تجلى دعمهم من خلال الأليانس [5]، والتي رأت أنها أنسب منظمة تتماشى مع مصالحها الشخصية وأنشطتها الإستعمارية .[6]

ثالثا : روسيا .

---

1 ألكزاندر شولش، المرجع السابق، ص 69.

2 نفسه ، ص 70.

3 نائلة الوعري ، المرجع السابق، ص 95.

4 نفسه ، ص 94.

5 الأليانس : وهي كلمة تعني تحالف أوتنظيم يهودي ، تأسس بباريس عام 1860م بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية لليهود ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة ، للمزيد أنظر: عبد الوهاب المسيري ، المرجع السابق ، 1975م. ص 85.

6 حسين أزدمير ، المرجع السابق ، ص 166.

شكلت حرب القرم التي وقعت بين روسيا وفرنسا (1854ـ1856م) ،والتي قامت على إثر النزاع الروسي الفرنسي على الأماكن المقدسة في فلسطين والقدس على وجه الخصوص ،نقطة تحول بارزة في الأطماع الروسية في فلسطين [1].

وباعتبار أن روسيا متبعة المذهب الأرثوذكسي ، وكانت الدولة العثمانية أغلبيتها العظمى من المسيحيين التابعين للكنيسة الأرثوذكسية ، وظنها بأن حقوقها المقدسة أقدم بكثير من حقوق الكاثوليك ، سعت إلى أن تكون حامية الأرثوذكس من خلال اتفاقية كوتشك قينارجه المبرمة 1774م ، لإقامةكنيسة أرثوذكسية روسية وتهيئة المناخ لزيارة القدس بحرية والحج إليها [2]، كما تم بموجبها منح الدولة العثمانية حق تعيين قناصل لها في مختلف المناطق .[3]

وإذا كانت المداخلات الإستعمارية في الولايات الشامية وفلسطين إحدى أبرز ملامح التنافس الأوروبي الذي ازدادت حدته بين عام 1831ـ1840م ،فقد أدى إلى تسارع الدول الإستعمارية إلى القيام بجملة من الإجراءات [4]أبرزها :

التغلغل الديني والذي اعتبرته الأداة الأهم والوحيدة في يد السياسة الروسية في شرقي البحر المتوسط .[5] أي نظرا للظروف التي أحاطت بروسيا تجاه ممتلكات الدولة العثمانية جعلها تسعى للتخطيط للعمل السياسي والديبلوماسي والإسفادة دينيا كما فعلت كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا في فلسطين .[6]

بالإضافة إلى تسريع حركة وأنشطة الإرساليات الأجنبية وتوظيف النظام القنصلي في خدمة الأطماع الروسية [7]، فعندما جاء القناصل الأوروبيون ، والأسقف البروتستانتي والبطريرك اللاتيني ،وبداية نشاطات الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية تضييق الخناق على المسيحين الأرثوذكس ،رأت روسياأنه لابد من مركز متواضع لها في البلاد.لذلك تم اقتراح إرسال مبعوث إلى القدس يجمع في شخصه بين ممثل

1ـ نائلة الوعري ، المرجع السابق، ص 119.

2ـ حسين أوزدمير، المرجع السابق ، ص 167.

3ـ علي حسون ، العثمانيون والروس ، ط1 ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1402 هـ/1982م ، ص 83.

4ـ نائلة الوعري ، المرجع نفسه، ص 120.

5ـ حسين أوزدمير ، المرجع نفسه ، ص 70.

6ـ نائلة الوعري ، المرجع نفسه ، ص122.

7ـ نفسه ، ص 120.

لشركة الملاحة الروسية وصفة قنصل لدعم الأرثوذكسية ، وهكذا وصل إلى القدس سنة 1808م وقت واحد أسقف وقنصل روسي ، كما تم نقل البطريرك الأرثوذكسي من القسطنطينية إلى المدينة المقدسة

لتبدأ بذلك نشاطات متعددة من خلال القنصلية الروسية في القدس ، بتكليف القنصل الروسي بشراء مساحات واسعة من الأراضي في القدس وبناء الكنائس والنزل ، والمدارس ومتابعة شؤون المسيحيين الأرثوذكس التعليمية والإقتصادية والإجتماعية ،وكانت أكثر المجمعات البنائية مهابة البناء الروسي الذي قام على أبواب القدس والذي لم يكن له نظير في سائرالمشاريع الأوروبية،كما أنها قامت بتأسيس الجمعية الأرثوذكسية القيصرية والتي وقع على عاتقها مساعدة الحجاج وتشجيع النشاطات العلمية .[2]

وتقديم يد العون لليهود فيما يخص هجرتهم من روسيا إلى فلسطين ، حيث وجدت أن مصالحها الحيوية بفلسطين تلتقي مع مصالح الحركة الصهيونية .[3] لكن بعد سنة 1905م أخذ النفوذ الروسي في فلسطين يتضائل بسرعة بسبب ضعف روسيا الداخلي والخارجي ، و مع مجيء الثورة في شباط و فبراير تم التخلي عن جميع المطالب والإدعاءات .[4]

رابعا : ألمانيا .

إن ألمانيا التي اتحدت سنة 1870م دخلت في سباق التوسع الإستعماري ، مستغلة كل فرصة للحصول على نصيبها[5] ، فأخذت تبدي اهتماما جديا وملحوظا في الشؤون السياسية والداخلية للدولة العثمانية مع بداية 1890م من خلال تكليف ألمانيا للجنرال فون درنمورلتنر بمهمة إعادة بناء وتنظيم الجيش العثماني والدخول إلى مرحلة من الصداقة و التعاون المشترك بين الدولتين .[6]

---

[1] ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص ص 71ـ72.

[2] نفسه ، ص 73.

[3] نائلة الوعري ، المرجع السابق ، ص 125.

[4] ألكزاندر شولش ، المرجع نفسه، ص 73.

[5] حسين أوزدمير، المرجع السابق ، ص168.

[6] جورج لنشوفسكي ، الشرق الاوسط في الشؤون العالمية ، تر: جعفر الخياط ، ج1 ، دار الكشاف للنشر والتوزيع ، بغداد ـ العراق ، د.ت.ن ، ص 53.

ومايدل على مطامعها الإستعمارية تلك الرحلة التي قام بها الإمبراطورالألماني سنة 1898م وعائلته اسطنبول ثم القدس،إذ عنت زيارته هذه بحمايته للمسيحيين عامة والبروتستانت خاصة،والإيحاءبأنه إمبراطور المذهبين المسيحيين ، وشراء الأراضي وإقامة الكنائس عليها .[1]

أما النفوذ الألماني فقد كان مقتصرا على الأنشطة التي كانت تقوم بها مملكة بروسيا باعتبارها من أكبر الإمارات الألمانية والتي انحصرت في المجالين الثقافي والتبشيري،ورغم مرور النصف الثاني من 1840م دون أي نشاطات سياسية للكنيسة البروسية ، إلا أن الحكومة البروسية والصحافة الألمانية وبعض الجمعيات التبشيرية الألمانية ظلت تأمل بظروف تمكنها من الولوج في مشاريعها الكنسية في فلسطين ، من خلال توجيه أنظار الرحالة والمسكشفين نحوها وإصدار مجلات كمجلة أخبار الشرق والتي كان للمجلات العلمية والأدبية دورمهم في تعريف الشعب الألماني بالأرض المقدسة فلسطين وتوزيعها مجانا على المهتمين بفلسطين[2]، و تأسيس جمعيات كجمعية فلسطين الألمانية 1878م بهدف استكشاف الأرض المقدسة علمية ، ومجلات مثل مجلة أخبار الشرق [3] .

أما فيما يخص اليهود فقد كان الألمان يدعمون هجرتهم إلى فلسطين للتخلص منهم،لأنهم كانوا سببا في العديد من السلبيات التي لحقت ببلادهم.[4]

خامسا : النمسا .

لم تعمل النمسا على تطوير مطامعها الإستعمارية في كل من سوريا ولبنان وفلسطين ، لذا فإن جميع البعثات النمساوية في الولايات الشامية وفلسطين ، لم تكن سوى مؤسسات خيرية ــ إجتماعية ــ إنسانية ، حيث استطاعت النمسا ضم كل من البوسنة والهرسك إليها بموجب معاهدة سان ستيفانو ، وأنها لم تكن تطمح أكثر من ذلك فيما يخص ممتلكات الدولة العثمانية .[5]

وبالتالي يمكن القول أنه بالرغم من إمكانية التغلغل الإقتصادي والعسكري إلا أن حماية الأقليات لكل دولة كانت هي الوسيلة الأنجع في إبقاء الدول الإستعمارية وزيادة التدخل في شؤون الدولة العثمانية الشام وبوجه خاص بفلسطين .

---

[1] ــ حسين أوزدمير ، المرجع السابق ، ص ص 168ـ169.

[2] ــ نائلة الوعري ، المرجع السابق ، ص 112.

[3] ــ علي محافظة ، المرجع السابق ، ص ص 27ـ 28.

[4] ــ حسين أوزدمير المرجع نفسه، ص169.

[5] ــ نائلة الوعري ، المرجع نفسه ، ص ص 125ـ126.

المطلب الثالث : النشاط الصهيوني والإستيطان في القدس .

عرف القرن19م العديد من الحركات الأوروبية كالحركة الصهيونية التي تهدف إلى الإستيلاء على فلسطين[1]، والتظيمات والجمعيات السرية العثمانية المتشبعة بالأفكار الغربية العازمة على إحداث تغيير وإجتماعي مع الإنتظام مع غيرهم في المحافل الماسونية ، من أبرزها جمعية الإتحاد والترقي .[2]

رغم اتخاذ الدولة العثمانية لمجموعة من الإجراءات سبقت الإشارة إليها في المدخل التمهيدي إلاأن اليهود استطاعوا التسلل إلى فلسطين بمساعدة بعض القناصل الأوروبيين والإمتيازات الممنوحةلهم،وقبول الموظفين الرشاوي ،حيث لعبت القنصليات دورا رئيسيا في تسهيل دخول اليهود إلى فلسطين باعتبارهم رعاياتابعين لهذه القنصليات،وعدم قدرة الدولة العثمانية على ملاحقتهم قانونيا ،كما كان للقناصل دور في مرحلة الإستيطان من خلال شراء الأراضي والحصول على الرخص الرسمية ، لبناء المستعمرات بحيث أن الديبلوماسيين الأجانب هم أصلا من اليهود والجزء الآخر من حملة الأفكار الصهيونية .[3]

لتظهر الصهيونية وهي حركة يهودية هدفها جمع شتات اليهود في بقاع العالم المنطوية على مبادئ دينية وإقتصادية وسياسية[4] والتي يرى البعض أن ظهورها كان انعكاسا مباشرا لأحداث الإضطهاد التي تمت في روسيا ضد اليهود على إثر اغتيال قيصر روسيا سنة 1881م،حيث هاجرت جماعات يهودية إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة (1881ـ1914م)[5]،والتي وصلت منها 2 % إلى فلسطين حيث نظرت إليها الدولة العثمانية بعين الريبة لأنها قادمة من عدوها اللدود روسيا رغم قلة عددها .[6]

وعليه دعى ليوبنسكر[7] إلى حل حاسم نظرا لعدم تطبيق الدول الأوروبية المساواة في معاملتها مع اليهود،لأنهم غير قابلين للإندماج في الأمم التي يعيشون فيها [8]،بحيث وضع المبادئ الأولى للفكر الصهيوني

---

[1] ـ ألكزاندر شولش ، المرجع السابق ، ص 59.

[2] -SUUNA Files team ، كيف نجحت الماسونية في الإطاحة بعبد الحميد الثاني ؟ ، شبكة أهل السنة والجماعة دليل كل مسلم ، 18:23 .

[3] ـ إسلام شحدة العالول ، المرجع السابق ، ص 58.

[4] ـ عمر صالح البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 263.

[5] ـ سيد فرج راشد ،القدس عربية إسلامية ،د.ط ،دار المريخ للنشر، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، هـ 1406ـ1986م ، ص 167ـ168.

[6] ـ اسلام شحدة العالول ، المرجع نفسه ، ص 60.

[7] ـ ليوبنسكر: وهو طبيب روسي يهودي ، اعتنق الصهيونية السياسية ، طالب بإعادة توطين اليهود في وطن جديد ، سيد فرج راشد ، المرجع السابق ،ص 168.

[8] ـ نفسه ، ص 168.

السياسي معتبرا إياه هرتزل[1] رائده في الفكر الصهيوني حيث قام هذا الأخير بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بتصوير المعاناة لليهود ، وقد عكف في فيينا منذ 1882م لتشكيل مذهبها حتى انتهى سنة 1896م في كتابه الشهير الدولة اليهودية[2] وفيه دعى لاتخاذ وطن لليهود حيث استحسن الكثير هذه الفكرة ، غير أنه اختلف في المكان حتى سنة 1891م وعقد مؤتمر بازل بسويسرا 1897م والإجماع على فلسطين ، فحاول في البداية مفاوضة الباب العالي [3] إذ عرض هرتزل على السلطان عبد الثاني تسديد ديون الدولة العثمانية الباهضة مقابل السماح لليهود بإقامة وطن في فلسطين لكن السلطان رفض بشدة [4]

حيث كان رد عبد الحميد الثاني : <<لاأقدرأن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد ، لأنها ليست لي بل لأمتي حصلت أمتي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائها وسوف تحميها بدمائها قبل أن تسمح لأحد باغتصابها منا،ليحتفظ اليهود بملاييهم،فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا >>[5].

لتقرر جمعية الإتحاد والترقي بالتعاون مع الصهيونية العالمية [6]عزله وخلعه من العرش بسبب رفض اقتراح هرتزل ، و رغم حذر السلطان عبد الحميد الثاني من هذه الجمعية إلا أنها كانت قوية ودفعت إلى القيام بمظاهرات في مدن عدة لإعادة الدستور وتهديدهم بالزحف إلى استانبول مما أدى بالسلطان إلى مطالبهم و إعلان الدستور،في حين ظلت فكرة تنحيته عن العرش قائمة حيث تم سنة 1908م الإنقلاب عليه[7].

---

[1] تيودور هرتزل: مؤسس الحركة الصهيونية الجديدة ، ولد بمدينة بودابست سنة 1860م ،وانتقل إلى فيينا واستقر بها ، اشتغل بالصحافة ، للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج7، ص 107.

[2] سيد فرج راشد ، المرجع نفسه ، ص 169.

[3] عمر صالح البرغوثي ، المرجع السابق ، ص 264.

[4] سيد فرج راشد ، المرجع نفسه ، ص 170.

[5] رفيق شاكر النتشة ،عبد الحميد الثاني وفلسطين ، المرجع السابق ، ص 178.

[6] المنظمة الصهيونية العالمية : وهي الإطارالتنظيمي الذي يضم كل اليهود القابلين ببرنامج بازل 1897م ، لإقامة وطن قومي لليهود ،للمزيد أنظر عبد الوهاب الكيالي ، المرجع السابق ، ج6 ، ص ص 252ـ 351.

[7] SUUNA Files team ، المرجع السابق .

ليتسلم الإتحاديون الحكم الذين تعاطفوا مع المخططات الصهيونية ، وازدادت معدلات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ملغين بذلك كل الإجراءات التي فرضها عبد الحميد الثاني ، بإلغاء تصريح دخول البطاقة الحمراء والسماح لهم بشراء الأراضي .[1]

لم تكن الهجرة وليدة تصريح بلفور بل كانت أسبق في جذورها لمدة طويلة ،حيث كان عدد اليهود سنة 1845م ليتجاوز 12ألف يهودي ، ليتزايد عددهم تدريجيا سنة 1882م إلى 24ألف يهودي ،في حين وصل عددهم سنة 1895م إلى 37ألف يهودي جراء قتل القيصر الروسي .[2]

و عقب انلاع الحرب العالمية الأولى ، اتفقت الدول الأوروبية الكبرى على اقتسام ممتلكات الدولة العثمانية فوجدت الصهيونية فرصتها في الوصول إلى أرض الميعاد [3]، والتي كانت لديها أهداف عدة والمتمثلة في :

ـــ تهجير اليهود من بقاع العالم إلى فلسطين و توفير كل السبل للهجرة باعتبار أن العامل السكاني هام في الكيان الإستيطاني لزيادة الغلبة في عدد السكان لصالح اليهود ، وطرد العرب من أرضهم وإرغامهم على الهجرة ،و إدعائهم بأن فلسطين بلادهم القديم،ومن أجل طمس المعالم العربية التاريخية حتى لايبقى منها في المستقبل. [4]

ـــ تقوية المقومات الإقتصادية للإعتماد على نفسها وعد الخضوع للظغوط الخارجية ،وكذلك السيطرة على الأراضي الخصبة ذات الموقع الإستراتيجي الهام لإقامة المستوطنات بها .[5]

وفي ظل التوافق بين الأطماع الإستعمارية البريطانية والصهيونية في المنطقة ، استفادت الحركة الصهيونية من ذلك التنافس ،وبدأت تتقرب من بريطانيا للتحالف معها والإنضواء تحت علم أشد الدول

---

[1] ـــ إسلام شحدة العالول ، المرجع السابق ، ص 63ـ 64.

[2] ـــ رفيق شاكر التشة ، تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1412 هـ/1991م ، ص ص 34ـ35.

[3] ـــ سيد فرج راشد ، المرجع السابق ، ص 170.

[4] ـــ عبد المالك التميمي ، الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي ، سلسلة عالم المعرفة 71 ، الكويت ، 1983م ، ص95.

[5] ـــ نفسه ، ص 96.

الصليبية طمعا في فلسطين ،إذ أدرك حاييم وايزمن[1] لتحقيق هدفه لابد أن تربط المصالح البريطانية بالمصالح الصهيونية [2].

ولما كانت الصهيونية في بداياتها بحاجة إلى الرعاية والدعم ، تولت بريطانيا تلك المسؤولية في الحركة الصهيونية مرحلة النشأة والتطور والهجرة والإستيطان، لأنه كان من مصلحة بريطانيا كذلك أن تجدحماية غربية تدعمها لفرض التجزئة على هذه المنطقة،خاصة وأن لليهود نفوذا ببريطانيا[3].ولذاأجرى العديد من الإتصالات المكثفة مع صانعي القرار والمسؤولين في بريطانيا ، وعليه طلب بلفور[4] وزير البريطانية من وايزمن تقديم النص الذي ترغب به الحركة الصهيونية ، ليتولى إصداره مجلس الوزراء والذي تضمن عدة نقاط أهمها قبول الحكومة البريطانية مبدأ إعادة فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي من خلال مشروع منلر الذي ينص على حث جلالة الملك للنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين ، مع عدم الإضرار بالحقوق الدينية و المدنية للسكان غير اليهود ، ليتم في أعقاب مجلس الوزراء البريطاني المنعقد في أيلول 1917م إرسال الحكومة مشروع منلرــ أمري إلى مؤيدي ومعارضي الصهيونية لاستطلاع رأيهم ، ومن ثم أدخلت عليه بعض التعديلات ، لتتم الموافقة عليه وعرف باسم وعد بلفور فيما [5].

ومن العوامل التي دفعت بريطانيا إلى تبني أماني اليهود ، وتأييدها في فلسطين وإصدار وعد بلفور :

أ ـ العامل الديني :

أخذت بريطانيا تدعم اليهودية وتناصرها ، لأن بريطانيا البروتستانتية تؤمن بالتوراة الذي يدعي أن الله أعطى أرض فلسطين لليهود ، وللوقوف في وجه قوة الإسلام المتزايدة .[6]

ب ـ العامل الإستراتيجي :

---

[1] ــ حاييم وايزمن : 1864ـ1952، زعيم صهيوني وعلم كيميائي ، من أصل روسي ، وأول رئيس لإسرائيل 1948م ، للمزيد أنظر: سيد فرج راشد المرجع السابق ، ص 170.

[2] ــ عبد الفتاح العريسي ، جذور القضية الفلسطينية ،ط2 ، دار الحسن للطباعة والنشر ، بيت المقدســ خليل الرحمن ، 1992م ، ص 179.

[3] ــ عبد المالك التميمي ، المرجع نفسه ، ص ص 87ـ88.

[4] ــ آرثر جيمس بلفور: 1848ـ1930م ، صهيوني مسيحي ، صاحب وعد بلفور والذي أصدرته الحكومة البريطانية عام 1917م ، ويعود اهتمامه بالمسألة اليهودية إلى الفترة مابين 1902ـ 1905م حينما كان رئيس الوزراء ، كما أصدر قوانين للحد من هجرة اليهود إلى انجلترا ومحاولة ومحاولة توتطنيهم بإحدى مستعمراتها . للمزيد أنظر: عبد الوهاب المسيري، المرجع السابق ، ص 103.

[5] ــ عبد الفتاح العريسي ، المرجع نفسه ، ص ص 181ـ 183.

[6] ــ عبد الفتاح العريسي ، المرجع السابق ، ص 188.

لضمان المصالح والمطامع الإستراتيجية الصليبية من خلال تمزيق المشرق العربي الإسلامي،بزرع عنصر غريب وعازل وكذلك لإقامة الحاجز بين مواقع النفوذ البريطاني والفرنسي في بلاد الشام .[1]

ج ـ العامل الداخلي :

تحويل الهجرة اليهودية القادمة من أوروبا الشرقية إلى خارج بريطانيا وأوروبا الغربية ، حيث قامت بترتيب هجرتهم إلى الأرجنتين وأمريكا ، نتيجة التذمر وما صاحبه من عنف بين الإنجليز واليهود وتهديدهم لمستوى المعيشة البريطاني ، لتصدر قانونا سنة 1900م لمنع اليهود من الدخول إليها .[2]

د ـ العامل الخارجي :

بعد دخول بريطانيا لإتفاقية سايكس بيكو ،والإتفاق على تمزيق وحدة الولايات العربية ووضع فلسطين تحت الإشراف الدولي،رأت بريطانيا أن هذا سيعرض مصالحها للخطر من طرف فرنسا ،ولهذ مهدت السبل لجعل فلسطين من حصتها .[3]

ولذ سعت بريطانيا والحركة الصهيونية إلى تنسيق جهودهما والعمل معا في سبيل قيام الوطن القومي من خلال العمل على تهيئة الأحوال السياسية والإقتصادية لإقامة الوطن القومي اليهودي وتأسيس وكالة يهودية تقدم المشورة للإدارة البريطانية والعمل على تسهيل الهجرة و والإستيطان بسن قوانين تضمن لليهود المقيمين بفلسطين حق أخذ الجنسية الفلسطينية .[4]

ولهذا يعد وعد بلفور ثمرة تلك الجهود ليكون بمثابة أول إعتراف رسمي بالحركة الصهيونية وتأييد لأطماعها في فلسطين ولتحقيق ماجاء في وعد بلفور تم منحهم وظائف مهمة في الدوائر الحكومية،والسماح لهم برفع الأعلام الصهيونية، وتشجيعهم على الفساد الأخلاقي دون مراعاة عادات وتقاليد المجتمع المقدسي جعل منطقة القدس الغربية منطقة يهودية لإقامة المستوطنات اليهودية[5]في الأراضي التي كانت ممنوعة خلال

---

[1] ـ عبد الفتاح العريسي ، المرجع السابق، ص 189.

[2] ـ نفسه ، ص ص 190ـ 192.

[3] ـ نفسه ، ص 192ـ 193.

[4] ـ رفيق شاكر التشة ، تاريخ فلسطين ، المرجع السابق ، ص ص 14ـ 16.

[5] ـ أنظر: الملحق رقم : 04 ، ص 92.

الحكم العثماني، وكذلك تقديم مختلف الخدمات العامة من طرف بريطانيا وغيرها من مشاريع العامة التجارية والمصارف والمصانع [1].

بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول تزايدت وتيرة النشاط الصهيوني من خلال المجالات الأربعة حددها برنامج بازل فعلى صعيد الإستيطان انطلقت الهجرة الثانية سنة 1904م من أوروبا الشرقية والذي كان أغلبهم من أبناء الطبقة الوسطى المتأثرين بالأفكار الإشتراكية [2]التي راجت في روسيا بصيغتها اليهودية الصهيونية ، إذ أدت الإضطرابات التي اندلعت مابين (1903ـ 1905م) وما واكبها من إضطهاد لليهود تحريك هذه الموجة من الهجرة الصهيونية .[3]

كما أنه مع مطلع القرن العشرين أصبح عدد اليهود في فلسطين في حدود 50ألف يهودي والذي كان جلهم قد هاجر من روسيا ومن بلدان أوروبا الشرقية ، إذ استوطنوا مدينتي القدس ويافا ،وقد ساعدت المنظمة الصهيونية العالمية على تنظيم الهجرات، مما أدى إلى ازدياد عدد المهاجرين إلى فلسطين ليزبد من انتشارهم وعد بلفور[4] وماتضمنه من إقامة الوطن القومي،ليصل عدد المهاجرين في الفترة (1904ـ1914م)إلى40ألف يهودي،ليبدأ اليهود ببناء مستوطنات بفلسطين منذ 1914م،وأصبحت حياتهم الخاصة مساعدة إياهم ظروف الحرب العالمية الأولى وما ألم بالدولة العثمانية من ضعف.[5]

لكن لم تنجح لولا تدخل المنظمة الصهيونية العالمية التي راحت تقيم مؤسسات لها بفلسطين ففي الفترة بين مؤتمر بازل والحرب العلمية الأولى ، عقدت المنظمة الصهيونية عشر مؤتمرات تم من خلالها تشكيل عدد الهيئات المختلفة لتنفيذ حيثيات بازل ففي سنة 1899م أنشئ صندوق الإئتمان اليهودي للإستعمار، لتمويل الهجرة إلى فلسطين والإستيطان فيها ،وإقامة فرع له سنة 1903م الشركة الإنجليزية الفلسطينية لشراء الأراضي ،كما أنشئ الصندوق القومي اليهودي في المؤتمر الخامس 1901م والذي عقد بلندن.[6]

---

[1] ـ ولاء حلمي شيوخي ، القدس ، المرجع السابق ، ص ص 128ـ130.

[2] ـ الإشتراكية : وهي مذهب اقتصادي وسياسي يعارض النظام الرأسمالي ، الذي يقوم على الملكية الفردية ، إذ ترى بأن بعض المرافق العامة يجب أن يمتلكها المجتمع أو الدولة مع إبقاء الملكية الخاصة ، للمزيد أنظر: علي مولا ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 331.

[3] ـ إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 330.

[4] ـ أنظر: الملحق رقم : 05 ، ص93.

[5] ـ رفيق شاكر التشة ، تاريخ فلسطين ، المرجع السابق، ص 36.

[6] ـ إلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 331.

بالإضافة إلى اتخاذ المنظمة الصهيونية العالمية 1908م خطوة حاسمة لتطوير نشاطها الإستيطاني إقامة مكتب فلسطين بإشراف آرثر روبين كممثل للمنظمة الصهيونية وذراع لنشاطها بفلسطين وقد شمل شراءا الأراضي وبناء المستعمرات ، ومساعدة المهاجرين وتوطينهم ورعايتهم ، حيث نجح بإقامة علاقة وثيقة بين المنظمة وبين المستوطنين القدامى والمهاجرين الجدد ، على أساس مبادئ العمل العبري ، وساهم إقامة مستعمرات جديدة على أسس تعاونية متعددة ، كما أن الصندوق القومي اليهودي هاكيرن هاكيميت قد نفذ بأساليب ملتوية مشترياته الأولى من الأراضي (1905ـ1907م) ، وإقامة نمط جديد من الإستيطان يتماشى مع نزعات أفراد الهجرة الثانية (1904ـ1914م) ، والذي يتمثل في القرى التعاونية الكيبتوس [1].

كمرحافيا في مرج ابن عامر التي نجت في الإستيطان بها سنة 1911م كما أنه في فترة 1882ـ 1913م زاد عدد المستوطنين اليهود من 24ألف إلى 85 نسمة وذلك من مجموع 700ألف من اسكان البلاد ، حيث أقام معظم المهاجرين في المدن ، و12ألف في المستعمرات الزراعية ولواحقها والتي بلغ 44، كما ارتفع عدد اليهود بالقدس إلى 45.000في القدس سنة 1914م لينخفض هذا العدد إلى 55.000ألف في نهاية الحرب العالمية الأولى بسبب نزوح المواطنين إلى الخارج .[2]

وبناءا على ماسبق يمكن القول أنه بالرغم من تمكن الدولة العثمانية من التخلص من الصراع المصري واسترجاع فلسطين مرة أخرى ،إلا أنها وقعت هذه المرة في حلبة الصراع الأوروبي على القدس نتيجة مساهمة الحكم المصري في تمهيد الأرضية للتغلغل الأجنبي ، الذي استمر وتطور إلى أن تمكن من إنتزاع فلسطين من الدولة العثمانية ووقوعها في قبضة بريطانيا إذ أدت هذه الأخيرة بالتوعد لليهود بإقمة وطن قومي لهم بفلسطين .

[1] ـإلياس شوفاني ، المرجع السابق ، ص 331.

[2] ـ نفسه ، ص 332.

الخاتمة

الخاتمة :

بعد بحثنا ودراستنا في موضوع الحياة الإجتماعية في فلسطين أوآخر العهد العثماني توصلنا إلى مجموعة من الإستنتاجات تكمن في النقاط التالية :

* تحظى فلسطين عامة والقدس خاصة بمكانة مرموقة لدى الديانات السماوية الثلاث فهي تجمع العديد من المعالم والأماكن الدينية المقدسة لدى هذه الديانات ، لكن رغم ذلك فإن فلسطين تعد وقف إسلامي وأرض إسلامية في الأمس والحاضر والمستقبل .

* نظرا لأهمية القدس ومكانتها الدينية لدى المسلمين وأهل الذمة فقد كانت خليطا من الأجناس والأعراق والأصول والديانات المختلفة .

*كان هناك تعايشا واضحا بين مختلف الطوائف الدينية التي سكنت فلسطين نتيجة سياسة التسامح التي كانت تعتمدها الدولة العثمانية مع أهل الذمة ، ولكن مع صدور التنظيمات العثمانية أصبح هناك مساواة بين المسلمين واليهود والنصارى .

* شهدت القدس تحولات جذرية خلال القرنين 19م و20م على مستوى التركيبة الإجتماعية ، وبالتالي هناك تحول ديموغرافي بين الخمسينيات ونهاية السبعينيات من القرن 19م.

* اعتمدت الدولة العثمانية في القدس على العائلات الشريفة بالدرجة الأولى في أمور الإدارة المحلية ، و الأشراف وأمور التعليم والقضاء ، وهوالأمر الذي ساهم في مشاركة هذه العائلات لأمور الحكم في القدس جانب الحكومة العثمانية وزيادة قوتها ونفوذها .نظرا لاحتلالها مكانة مرموقة داخل المجتمع المحلي .

* خضعت فلسطين بسبب ضعف الدولة العثمانية لسيادة وحكم محمد علي باشا والي مصر مابين 1831ـ1840م ، وتعتبر هذه الفترة مرحلة غرس أقدام النفوذ الأجنبي في القدس عن طريق فتح العديد من القنصليات الاجنبية .

* تماشت السياسة المصرية مع الأهداف القنصلية وهي أمن اليهود وحمايتهم ، ولكن خلال مؤتمر لندن 1840م ، اتفقت الدول الأوروبية على إزاحة محمد علي وإبقاء فلسطين في يد الرجل المريض ، وبذلك تمكنت الدولة العثمانية من إسترجاع فلسطين للمرة الثانية عام 1840م .

* لم تحظى القدس خلال القرن 19م بالهدوء والإستقرار نتيجة الحروب والفتن الأهلية ، إلا في أيام قليلة في بداية الحكم المصري ، لتعود مرة أخرى لأجواء الإضطراب واللإستقرار .

* عرفت القدس تحسنا ملحوضا في الأوضاع التعليمية نتيجة صدور التنظيمات العثمانية حيث شرعت الدولة العثمانية في بناء العديد من المدارس الحكومية خلال النصف الثاني من القرن 19م ، إلا أنه مع اندلاع العالمية الأولى شهدت تراجعا في الأوضاع التعليمة نظرا لسوء الأحوال الإقتصادية والسياسية .

* على الرغم من بناء الدولة العثمانية العديد من المدارس الحكومية ، إلا أنها عانت من نقص واضح ، تمكنت المدارس الأجنبية من سد هذا الفراغ .

* تميزت فلسطين عامة والقدس خاصة بتردي الأوضاع الصحية ومعاناتها من انتشار الأمراض والأوبئة التي ظهرت نتيجة سوء الأوضاع الإجتماعية ، ونقص الرعاية الطبية ووسائل الوقاية ، وما زاد من تفاقم الوضع هو الحرب العالمية الأولى .

* استغلت الدول الأجنبية الإمتيازات الممنوحة لهم ، أهمها حماية الأقليات الدينية التي كانت من أهم في زيادة التغلغل والتدخل الأجنبي في شؤون الدولة العثمانية ، عن طريق الإرساليات التبشيرية الدينية

* عملت القنصليات الأجنبية المفتوحة بالقدس على متابعة شؤون الأقليات الدينية وتمليكهم للأراضي الفلسطينية .

* حظيت فلسطين بإهتمام خاص من قبل الدولة العثمانية منذ سنة 1516م ، إذ بذلت هذه الأخيرة جهودا كبيرة خاصة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي شكل عقبة في طريق المشروع الصهيوني من خلال العديد من التدابير والإجراءات التي تمنع الهجرات والإقامات اليهودية بفلسطين .

* على الرغم من التدابير الصارمة التي اتخذها السلطان عبد الحميد الثاني بخصوص منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلا أن جميع تلك الجهود فشلت وتمكن اليهود من مواصلة هجراتهم .

* كانت محاولة ثيودور هرتزل في مفاوضة عبد الحميد الثاني بخصوص الحصول على فلسطين فاشلة ، عمل اليهود على حبك المكائد والمؤامرات على السلطان العثماني الذي شكل عقبة في طريق المشروع الصهيوني

وعليه كان موقف عبد الحميد الثاني اتجاه القضية الفلسطينية سببا في إطاحته من العرش ، بالإنقلاب عليه طرف جمعية الإتحاد والترقي سنة 1908م .

* كان وصول جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم من أسوء فترات حكم العثمانيين لفلسطين ، حيث تنازلت وانحنت أمام أهداف الغرب واليهود ، بتسهيل إستيلاء اليهود على الأراضي الفلسطينية .

* كان لدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى أثارا إجتماعية عميقة وواضحة في القدس وذلك بظهور العديد من المظاهر الإجتماعية المشينة كالفقر والجوع والتسول ...إلخ .

* كان وقوع فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى بقبضة بريطانيا عامل مهم في تنفيذ الخطة الصهيونية ، اعتمادا على وعد بلفور المشؤوم سنة 1917م.

الملاحق

الفرمان الأول ــ ٢١ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ ه.

لا يسمح بإجراء ينتج عنه قبول اللاجئين اليهود المطرودين من كل بلد يترتب عليه إنشاء حكومة موسوية في القدس مستقبلاً .وبما أن هؤلاء ليسوا من مواطني امبراطوريتنا فيتحتم إرسالهم إلى أمريكا.

يرفض قبولهم وقبول غيرهم في البلاد بل يجب تهجيرهم إلى بلاد أمريكا بوضعهم في السفن دون أي تأخير وعرض الموضوع علينا بعد اتخاض قرار خطير بشأن تفاصيله .لماذا نقبل في بلادنا من طردهم الأوروبيون المتمدنون وأخرجوهم من ديارهم؟ لا محل لقبولهم ما دامت عندنا فتنة أرمنية .فنطلب إلى مقام الصدارة اتخاذ قرار عام في هذا الموضوع دون حاجة لعرض الموضوعات فيما بعد على أحد.

الفرمان الثاني :٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ ه.

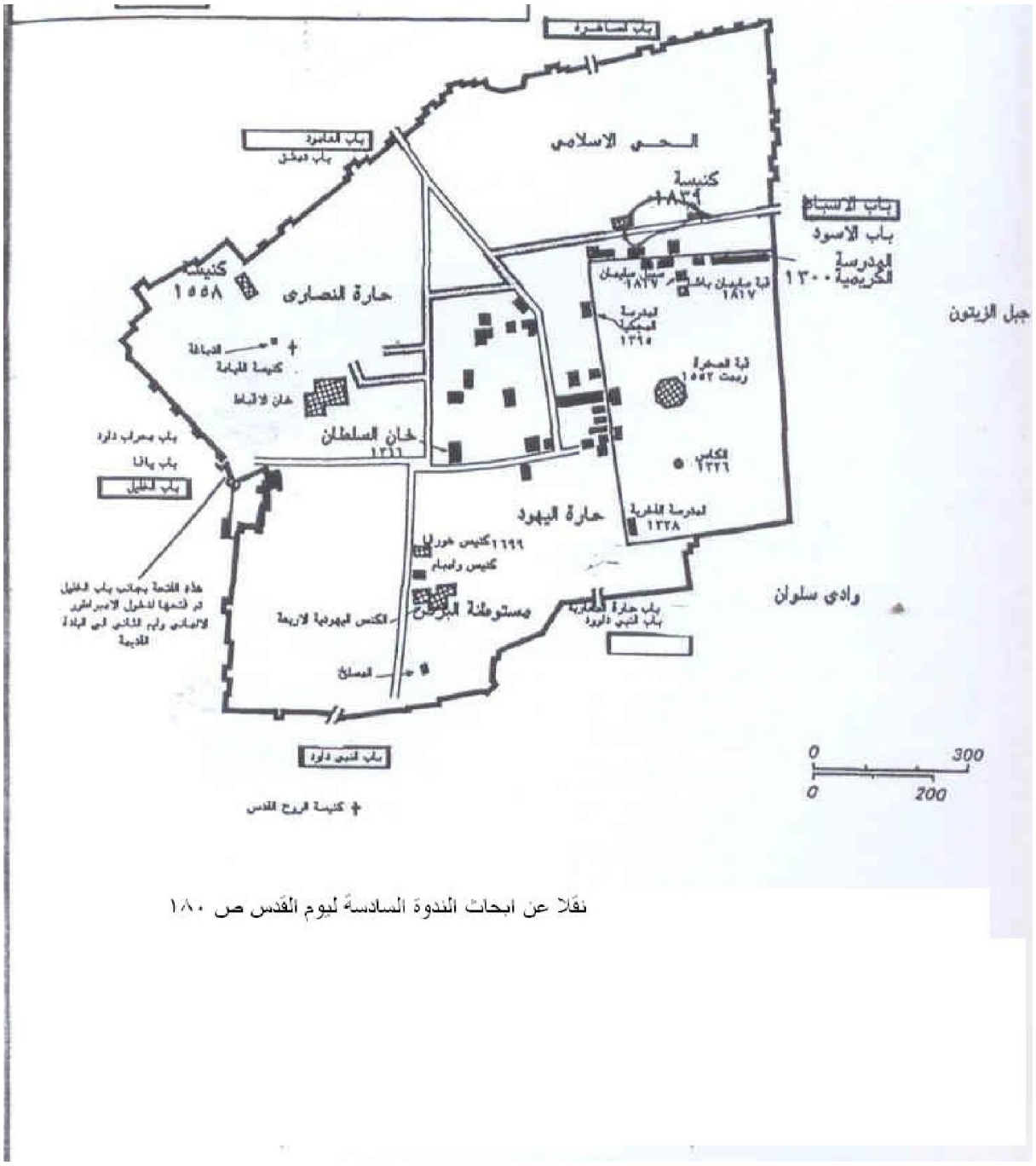
إلى اللجنة العسكرية السلطانية
بما أن قبول هؤلاء الموسويين ومنحهم الجنسية العثمانية وإسكانهم أمر ضار، وبما أن هذا التسامح تنتج عنه مستقبلاً إقامة دولة موسوية، فيتعين عليه عدم قبولهم في البلاد، وعلى اللجنة العسكرية أن تقدم على ضوء هذا بعرض القرار سريعاً على مقام الصدارة.

الفرمان الثالث :٢٩ من ذي القعدة سنة ١٣٠٨ ه.

إلى اللجنة العسكرية السلطانية

إن الدولة التي تقدم إلينا احتجاجات عتاب بحجة عدم قبول الموسويين الذي أخرجوا مطرودين من دول متمدنة ورفضت الدول الأخرى قبولهم، لو أنها ترى في نفسها حق الاحتجاج فلتتقدم به إلى الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم .هؤلاء الموسويون أينما سكنوا ومهما اتخذ ضدهم من التدابير فإن الذي يلاحظ عليهم هو النزوح التدريجي إلى فلسطين مقصودهم الأصلي ليقيموا فيها حكومة موسوية فيما بعد بتشجيع الأوروبيين وحمايتهم لها .وبما أنهم قوم لا يشتغلون بالزراعة والفلاحة وثابت عليهم أنهم سوف يضرون الأهالي مثلما أضروهم في البلاد التي طردوا منها .وكانوا يهاجرون قبلاً إلى أمريكا فإن الأنسب لهم أن يتوجهوا إليها أيضاً .ونطلب مذاكرة هذه النقطة في اللجنة العسكرية مذاكرة مستوفاة.

الملحق رقم 02: أحياء القدس (الحي الإسلامي ، وحارة النصارى ، حارة اليهود) .



نقلا عن ابحاث الندوة السادسة ليوم القدس ص ١٨٠

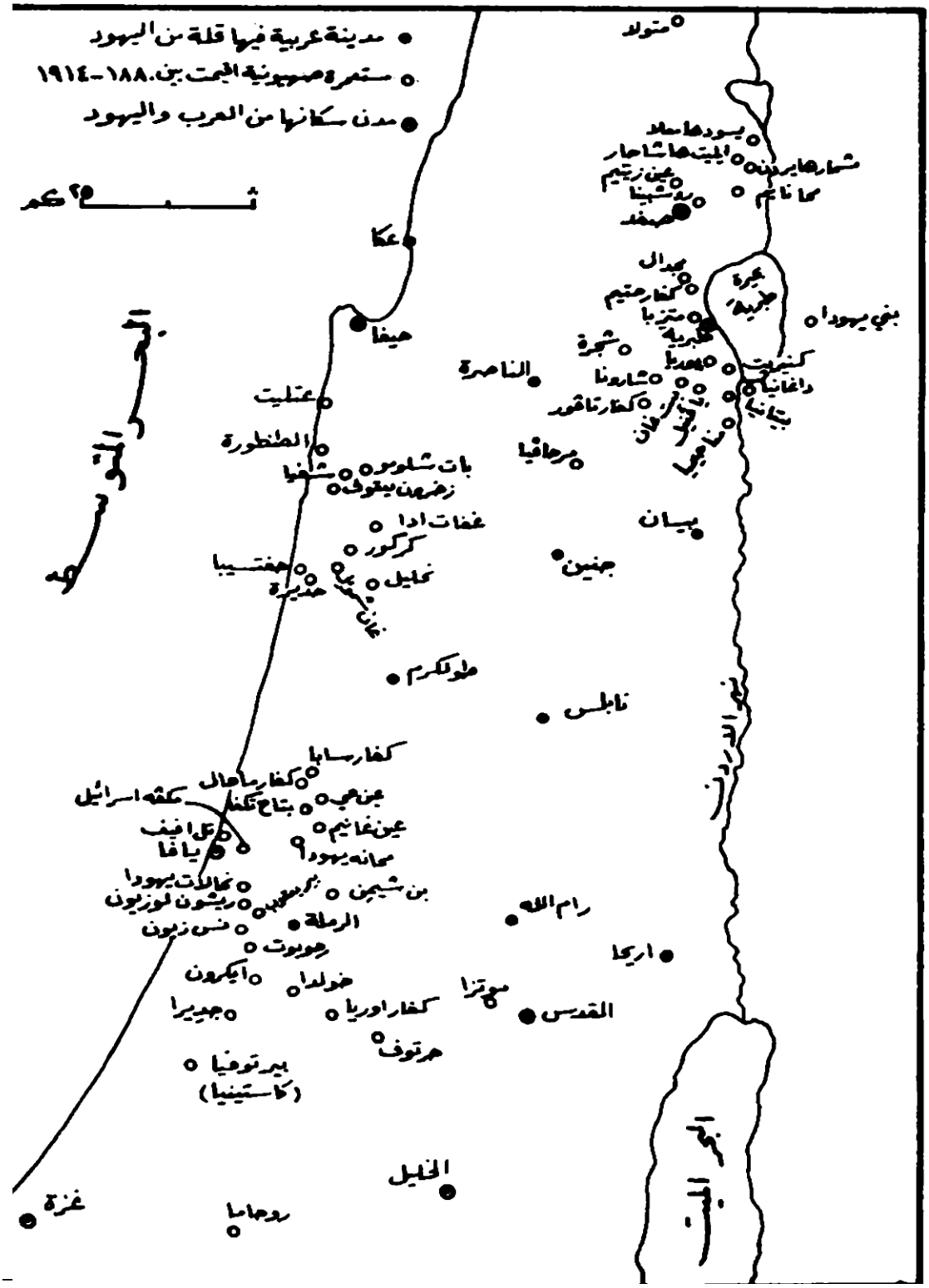
ـــ د. فاطمة الطروانة ، الأهمية الإجتماعية والإقتصادية للقدس العثمانية والتدخل الأوروبي فيها في العصر الحديث والمعاصر ، ص 16.

الملحق رقم 03: سكان بعض مدن فلسطين في القرن التاسع عشر .

المدينة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
القدس				
– الرحالة بوفيه (١٨٥٨م)	٥,٠٠٠	٣,٤٠٠	٧,٠٠٠	١٥,٤٠٠
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ / (١٨٧١ ـ ١٨٧٢م)	٥,١٢٥	٣,٦٩٠	٣,٨٠٥	١٢,٦٢٠
ـ الرحالة فوغيه (١٨٧٢م)	٤,٥٠٠	٧,٥٠٠	١٤,٠٠٠	٢٦,٠٠٠
ـ الرحالة القساطلي (١٨٧٤ ـ ١٨٧٥م)	٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٢٢,٠٠٠	٤٠,٠٠٠
الخليـل				
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ / (١٨٧١ ـ ١٨٧٢م)	١٤,٠٠٠	٠	١,٠٠٠	١٥,٠٠٠
ـ القساطلي (١٨٧٤ ـ ١٨٧٥م)	١٥,٠٠٠	٠	٢,٠٠٠	١٧,٠٠٠
غـــزة				
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ /(١٨٧١ ـ ١٨٧٢م)	١٣,٤٥٠	٣٢٥	٠	١٣,٧٧٥
ـ القساطلي (١٨٧٤ ـ ١٨٧٥م)	١٦,٠٠٠	٨٠٠	٠	١٦,٨٠٠
يـافـا				
ـ لامارتين (١٨٣٢م)				٥,٥٠٠
ـ سالنامة ١٢٨٨هـ / (١٨٧١ـ ١٨٧٢م)	٤,٣٢٥	١,٣٣٠	٠	٥,٦٥٥
اللـــد				
ـ نيهولت (١٨٦٨م)	٥,٠٠٠	٢,٠٠٠	٠	٧,٠٠٠
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ /(١٨٧١ ـ ١٨٧٢م)	٣,٥٠٠	١,٠٧٥	٠	٤,٥٧٥
الـرملـة				
ـ لامارتين(١٨٣٢م)				٢,٠٠٠
ـ نيهولت (١٨٦٨م)	٣,٠٠٠	١,٠٠٠	٠	٤,٠٠٠
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ/(١٨٧١ ـ١٨٧٢م)	٣,٣٧٥	١,٢٥٠	٠	٤,٦٢٥
نـابلـس				
ـ بوفيه (١٨٥٨م)				٨,٠٠٠
ـ نيهولت (١٨٦٨م)	١٤,٩٥٠	٥٥٠	يهود ٢٥٠ سامريون ٢٥٠ ٥٠٠	١٦,٠٥٠
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ /(١٨٧١ ـ ١٨٧٢م)	٦,٧٨٠	٤٨٠	يهود ٧٠ سامريون ٦٠ ١٣٠	٧,٣٩٠
عكـــا				
ـ سالنامه ١٢٨٨هـ /(١٨٧١ـ ١٨٧٢م)	٢,٧٣٥	١,٠٥٠	٣٠	٣,٨١٥
ـ شوماخر (١٨٨٦م)[٦]	٦,٨٥٠	٢,٨١٠	١٤٠	٩,٨٠٠
ـ تميمي وبهجت ١٣٣١هـ / (١٩١٢ ـ ١٩١٣م)[٧]	٣٢,٢٤١	٨,٩٧٦	١٠٥	٤١,٣٢٢

ـــ عبد الكريم رافق ، المرجع السابق ، ص 907.

الملحق رقم 04: المستعمرات الصهيونية (اليهودية) في فلسطين 1880ـ 1914م .



عبد الكريم رافق ، المرجع السابق ، ص 871.

رقم 05: نص وعد بلفور.

"عزيزي اللورد روتشلد , يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي، الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية، الذي عرض على الوزارة وأقرته:
"إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلاد الأخرى.
أكون ممتنا لكم لو أبلغتم هذا التصريح إلى الفدرالية الصهيونية" .

بلفور جميس آرثر

ـــ إسلام شحدة العالول ، المرجع السابق ، 72.

قائمة المصادر والمراجع

1ـ القرآن الكريم .

2ـ الأحاديث النبوية.

المصادر :

1ـ الأبيض أنيس ، الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس خلال القرن التاسع عشر ، دون طبعة ، منشورات جروســـ برس ، طرابلســـ لبنان ، دون تاريخ النشر .

2ـ الرازي أبو بكر محمد بن زكرياء ،الحاوي في الطب ، الطبعة1 ، المجلد 1 ، دار الكتب العلمية لبنان ، 1421 هـ /2000م.

3ـ عبد الحميد الثاني ، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ، تر:محمد حرب ، الطبعة 3، دار القلم ، 1412 هـ/1991م.

4ـ الغزي نجم الدين محمد بن محمد الدمشقي 1061 هـ/1651م ، لطف السمر وقطف الثمر ، دون طبعة ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشقـــ سوريا .

المراجع :

1ـ أوزدمير حسين ، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني ، الطبعة 1، دار النيل للطباعة والنشر ، القاهرةـ مصر ، 1434 ه/2013م.

2ـ أبو عز الدين سليمان ، إبراهيم في سوريا ، د.ط، المطبعة العلمية ليوسف صادر ، بيروت ،1929م.

3ـ البرغوثي عمر الصالح وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، دون طبعة ، جامعة القدس المفتوحة ، عمان الأردن ، 2009ـ2010م.

4ـ بولياك ا.ن ، الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان ، تر:عاطف كرم ، الطبعة2، منشورات دار المكشوف ، بيروتـــ لبنان ، 1948م.

5ـ جبارة تيسير وآخرون ، تاريخ القدس ، دون طبعة ، جامعة القدس المفتوحة ، عمانـــ الأردن ، 2009ـ2010م.

6ـ حسون علي ، العثمانييون والروس ، الطبعة 1، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1402 ه/1982م.

7ـ الحوت بيان نويهض ، فلسطين .القضية .الشعب . الحضارة ، الطبعة 1، دار الإستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، 1991م.

8ـ درادكه حلمي خليفة علي ، يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر (دراسة إجتماعية ـــ إقتصادية) ، الطبعة 1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ـــ لبنان ، 2014م.

9. راشد سيد فرج ، القدس عربية إسلامية ، دون طبعة ، دار المريخ للنشر ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية ، 1406 ه/1986م.

10ـ رافق عبد الكريم ، فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن الثالث عشر هجري والقرن التاسع ميلادي 1326 هـ1918م في الموسوعة الفلسطينية ، قسم 2 ، مجلد 2 ، بيروت ، 1990م.

11ـ سالم نجيب عبد الله ، المجد المنيف للقدس الشريف ، مادة من منبر التوحيد والجهاد .

12.سالم لطيفة محمد ، الحكم المصري في الشام 1831ـ1841م، الطبعة 2، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1410 ه/1990م.

13.سرور موسى ، سجلات محكمة القدس الشرعية إشكاليات منهجية أوراق عائلية دراسات في التاريخ المعاصر لفلسطين ، دون طبعة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، رام الله ، 2009م.

14.سنو عبد الرؤوف ، النزاعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877ـ1881م (بلاد الشام. الحجاز.كردستان .ألبانيا) ، الطبعة 1، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ـــ لبنان ، 1998م.

15. السهلي محمود نبيل ، فلسطين أرض وشعب من مؤتمر بال وحتى 2002م ، دون طبعة ، دون دار ، دون تاريخ النشر ، دون مكان النشر .

16.السوافيري كامل ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860ـ1960م، دون طبعة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1979م.

17ـ شلح محمد عبد الله محمد ، التعليم في فلسطين في عهد الدولة العثمانية 1516ـ1917م ، الطبعة 1،دار الإحياء الثقافي ، القاهرة ، 1424 هـ/2003م.

18ـ الشناوي عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء2 ، دون طبعة، الأنجلومصرية ، القاهرة، دون تاريخ النشر .

19ـ شوفاني إلياس ، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م) ، الطبعة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1996م.

20ـ شولش ألكزاندر ، تحولات جذرية في فلسطين 1856ـ1882م، تر:كامل جميل العسلي ، الطبعة منشورات الجامعة الأردنية ، عمان ، 1988م.

21ـ صالح محسن محمد ، الطريق إلى القدس ، دراسة تاريخية في رصيد التجربة الإسلامية على أرض منذ عصور الأنبياء وحتى أواخر القرن العشرين ، الطبعة 5، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات ، بيروت ــ لبنان ، 1433 ه/2012م.

22ـ صالحية محمد عيسى ، مدينة القدس السكان والأرض (العرب واليهود) 1275ـ1368 ه/ 1858ـ1948م، الطبعة 1، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات ، بيروت ــ لبنان ، 2009م.

23. الصباغ ليلى ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع ، الجزء 2، الطبعة 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1409 ه/1989م.

24ـ طقوش محمد سهيل ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة ، الطبعة3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2013م.

25ـ العارف عارف ، المسيحية في القدس ، دون طبعة ، دون دار النشر ، القدس ، 1951م.

ــ المفصل في تاريخ القدس ، دون طبعة ، الجزء2، مكبتة دار الأندلس ، القدس ، 1960م.

ــ تاريخ القدس ، دون طبعة ، دار المعارف، مصر ، دون تاريخ النشر .

26ـ العالول إسلام شحدة ، محطات فاصلة في تاريخ فلسطين القديم والحديث ، دون طبعة ، أكاديمية اللاجئين ، دون مكان النشر ، دون تاريخ النشر .

27ـ عبد الجبوري أحمد حسين ، القدس في العهد العثماني 1640ـ1799م ، دراسة سياسية عسكرية إقتصادية إجتماعية ثقافية ، الجزء 2، الطبعة 1، دار الحامد ، عمان ــ الأردن ، 2011م.

28ـ عبد اللطيف زهير غنايم ، لواء عكا في عهد التنظيمات 1281ـ1337 ه/ 1864ـ1914م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 1999م.

29ـالعريسي عبد الفتاح ، جذور القضية الفلسطينية ، الطبعة 2، دار الحسن للطباعة والنشر ، بيت خليل الرحمن ، 1992م.

30ـ عوض محمد عبد العزيز ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1864ـ1914م) ، دون طبعة ، دار المعارف ، مصر ، 1969م.

31ـ الفاهوم زهير عبد المجيد ، فلسطين ضحية وجلادون فلسطين في أوآخر العهد العثماني ،الطبعة2، للنشر والإعلام ، القاهرة ، 2002م .

32ـ لنشوفسكي جورج ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، تر: جعفر الخياط ، الجزء 1، دار للنشر والتوزيع ، بغدادـــ العراق ، دون تاريخ النشر .

33ـ مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي ، الجزء2 ، الطبعة1، دار الفكر ، القاهرة ، 1993م.

34ـ مناع عادل ، أعلام فلسطين في أوآخر العهد العثماني (1800ـ1917م) ، الطبعة2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، أفريل 1990م.

35ـ المبيض سليم عرفات ، غزة وقطاعهاـــ دراسة خلود المكان وحضارة السكان من العصر الحجري حتى الحرب العالمية الأولى ، دون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م.

36ـ محافظة علي ، العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية العالمية الثانية 1841ـ1945م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981م.

37ـ المدني زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 121ـ1245 هـ/ 1800ـ1830م، الطبعة1، منشورات بنك الأعمال ، عمان ،1417 هـ/1996م.

38ـ مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني ، الطبعة 1، دار الشروق ، بيروت ، 1406 ه/1986م.

39ـ نافع تيسيير موسى ، الأمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية ، الطبعة 1، دار الشروق ، القاهرة ، 1402 ه/1999م.

40ـ النتشة رفيق شاكر ، السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين ، الطبعة3 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان ، 1991م.

ـــ تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ، الطبعة1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1412 هـ/1991م.

42ـ الوعري نائلة ، دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والإستيطان اليهودي في فلسطين 1840ـ1914م، الطبعة 1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمانـــ الأردن ، 2007م.

الحوليات :

1ـ تيماري سليم ، عام الجراد مذكرات جندي مقدسي في الحرب العظمى ، حوليات القدس ، العدد 5 ، 2007م.

المجلات :

1ـ ثامر محمد عبد الرؤوف ، <<الأوضاع الإجتماعية في فلسطين خلال العهد العثماني >>،مجلة للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد19، دون بلد النشر، دون تاريخ النشر .

2ـ الحزماوي محمد ماجد صلاح الدين ،<< الصرة السلطانية لعلماء القدس الشريف وفقرائها في العهد العثماني (1111ـ1317 هـ/ 1700ـ1900م)>>، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، المجلد 4، دون بلد النشر ، 2010م.

3ـ الطراونة سليم فاطمة ورائد سامي حميد الدوري ،<<سياسة الدولة العثمانية تجاه نصارى القدس من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية والإمتيازات الأجنبية (1153ـ1246 ه/ 1740ـ1830م)>>، مجلة أدآب الفراهيدي ، المجلد 1، العدد16، دون بلد النشر ، 2013م.

4ـ علي بلال هدى ، <<الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830ـ1841م>>، مجلة أبحاث كلية الدراسات الأساسية ، المجلد 10، العدد4، جامعة الموصل ، 2011م.

5ـ SunnaFilesTeam، كيف نجحت الماسونية في الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني ؟، شبكة السنة والجماعة دليل كل مسلم .

المذكرات والأطروحات الجامعية :

1ـ حسن شيوخي حلمي ولاء ، القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914ـ1918م، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الخليل ــ 1437 ه/ 2016م.

2ـ جاموس محمد علي فريدة ، دور العلماء في النظام التعليمي في القدس في أوآخر العهد العثماني 1800ـ1917، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ، كلية الدراسات العليا بيرزيت ــ فلسطين ، 2010م.

3ـ صبري حسين عبد الله بهجت ، لواء القدس تحت الحكم العثماني 1840ـ1873م، مذكرة لنيل الماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين الشمس ، 1973م .

4ـ صلاح الدين صابرين ، القدس بين ثورتين ــ دراسة في الأوضاع الأمنية 1825ـ1835م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ، كلية الدراسات العليا جامعة بيرزيت ــ فلسطين 2015م.

5ـ علي عبد الله محمد عبد الله محمد ، بيت المقدس في الكتاب والسنة ، مذكر ةلنيل شهادة الماجستير أصول الدين ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ــ فلسطين ، 2007م.

6ـ نعمة الله إبراهيم محمد عبد اللطيف ، الرملة في أوآخر العهد العثماني 1281ـ1333 ه/ 1846ـ1917م، مذكرة للحصول عل درجة الماجستير في التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة ــ فلسطين ، 1425 ه/2004م.

الموسوعات والمعاجم :

* الموسوعات :

1ـ غربال محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد 1.

2ـ الكيالي عبد الوهاب ، الموسوعة السياسية ، الجزء 1ـ 4ـ 6 ، الطبعة 1، 1979م.

3ـ مولا علي ، الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد 1ـ 2ـ 3ـ 4ـ 5ـ 6ـ 7، الطبعة 3، المكتبة صيدا ــ بيروت ، 2009م.

4ـ المسيري عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد 1، الطبعة 1، دار الشروق ، القاهرة ، 1999م.

5ـ الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا . تاريخ فلسطين العثماني .

*** المعاجم :**

1ـ صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2000م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات :

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
قائمة المختصرات	
مقدمة	8ـ12
المدخل التمهيدي : مكانة فلسطين التاريخية والدينية .	
مكانة القدس لدى المسلمين واهل الذمة .	14ـ19
المبحث الأول : التركيبة الإجتماعية في فلسطين .	**21 -41**
المطلب الأول : الفئات السكانية .	21ـ29
المطلب الثاني : العلاقة بين السكان .	29ـ33
المطلب الثالث : إحصاءات سكان القدس في الفترة العثمانية المتأخرة.	33.38
المطلب الرابع : الزعمات و القوى المحلية .	38ـ41
المبحث الثاني : الأوضاع الاجنماعية في القدس	43ـ62
المطلب الاول :الأوضاع التعليمية .	43ـ51
المطلب الثاني :الأوضاع الأمنية .	51ـ56
المطلب الثالث : الأوضاع الصحية .	56ـ59
المطلب الرابع : المجنمع الفلسطبني خلال الحرب العالمية الأولى 1914/1918م	60ـ62
المبحث الثالث :القدس في الصراع الدولي .	64ـ83

المطلب الأول : الصراع العثماني المصري على فلسطين . 64ـ69

المطلب الثاني : النفوذ الأجنبي في القدس . 69ـ76

المطلب الثالث : النشاط الصهيوني والاستيطان في القدس . 76ـ83

الخاتمة . 85ـ87

الملاحق. 89ـ93

قائمة المصادر والمراجع . 95ـ101

فهرس الموضوعات 103ـ104